شخصيات مجمعية

استقبال ثلاثة أعضاء علميين جدد

فى الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء الموافق ٢ من ديسمبر سنة ١٩٩٢ م أقام المجمع حفلا لاستقبال ثلاثة أعضاء علميين جدد ، هم :

- الأستاذ الدكتور سيد رمضان هدارة
- الأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمى محمد
- الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح

وقد بدأ الحفل بكلمة الأستاذ الدكتور محمود مختار فى استقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور سيد رمضان هدارة ، وتلاه الأستاذ الدكتور سيد حلمى محمد وتلاه الأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمى محمد فألقى كلمته .

وأخيراً ألقى الأستاذ الدكتور محمود حافظ عضو المجمع كلمة فى استقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح وتبعه الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح بإلقاء كلمته .

وفيما يلى نص الكلمات التى ألقيت فى الحفل .

كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد
الأستاذ الدكتور سيد رمضان هدّارة

للأستاذ الدكتور محمود مختار

عضو المجمع

السيد الأستاذ الكبير الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع :

السادة الزملاء الأجلاء أعضاء المجمع: سيداتى وسادتى ضيوف الحفل :

إنه لشرف أعتز به أن أنوب عن مجمع اللغة العربية العريق فى إلقاء كلمة الاستقبال والترحيب بدخول نجم من نجوم اللغة العربية العلمية إلى محرابه ليتبوأ مكانا بين سدنته ويحظى بشرف خدمة اللغة العربية الخالدة بخلود القرآن الكريم ، ذلك هو الأستاذ الدكتور سيد رمضان هدارة ، الذى أتوجه إليه بخالص التهنئة والتقدير على هذا الاختيار الذى صادف أهله ،والذى توج به عطاءاته وإنجازاته المطردة للغة العربية العلمية على مدى امتد لأكثر من نصف قرن من الزمان منذ أن تخرج فى كلية العلوم بجامعة القاهرة وتجلت موهبته العلمية واللغوية حتى أضحى اليوم علما من أعلامها استحق عليه شرف الانتماء إلى هذا المجمع العريق عضواً عاملا فيه .

عمل الدكتور سيد رمضان هدارة خبيرا علميا بالمجمع فأ اللغة العربية العلمية بإنتاج وافر متميز فى مجال حضارى هام ، مجال يضعها فى مصاف اللغات المتقدمة فى العلوم والتقنيات الحديثة كما ظلت هى اللغة الرائدة فى العلوم الإنسانية والأدبية والاجتماعية على مدى قرون طويلة .

وإنى إذ أقوم اليوم بتقديم زميلى وأخى وابنى الدكتور رمضان هدارة عضوا عاملا بمجمع الخالدين أذكر كلمة ما زالت تتردد فى سمعى ، قالها رائد الفيزيقا الأول فى مصر الأستاذ مصطفى نظيف عند اختياره للدكتور سيد رمضان هدارة خبيرا علميا به عام ١٩٧٠ أى منذ أكثر من

عشـرين عاما ، إذ قـال : "أهدى المجمع زهرة ناضجـة فى العلم واللغـة" . كانت كلمته هذه وساما يسـجل له مكانته العلمية واللغوية مـعا ويبشـر بمستقبل وضـاء تحقق اليـوم فى خدمـة المجمع واللغـة العلميـة العربية .

والمجمع إذ يستقبل اليوم الدكتور سيد رمضان هدارة عضوا عـاملا به يستحق هو أيضا التـهنئة على حسن اخـتياره للأسـتاذ الذى جـمع بين العلم التطبـيـقى الحـديث وماحـققه من منجـزات خارقـة وبين اللغة العربـية الأصيلة ومـالها من قـدرات على التجدد المستمر ومواكبة ركب الحياة الحديثة فى كل زمان ومكان واتخاذ مكان لائق بين لغات العالم المتحضر .

وقد بدت المكانة العلمية للدكتور سيد رمـضـان هـدارة تزهو منذ عـام ١٩٤٢ بتخرجـه فى كلية العلوم طالبا متـميزا فى الفيـزيقا والرياضيـات ثم باحثا غلمـيا فى الفيزيقـا فى مصر ثم فى إنجلترا متخـصصا فى أحدث مجـالات الفيزيقا وأهـمها وهو الأشعة الكونية التى نعلم أنها تغمر الأرض قادمة من أغوار الكون السحيق حاملة معها العـديد من أسراره وخـبـاياه التى تنم عن الإعـجـاز المتناهى فـى الخلق والإبداع ، وأقام الدكتور رمضان هدارة أول تلسكوب لرصـد هذه الأشـعـة الكونيـة فى مـصـر لدراسة طبـيعـتها ومكوناتهـا وبخاصـة ما تحويه من ميزونات أى الجسيمات المشحونة الأولية ذات الكتلة المتوسطة بين الإلكترون والبـروتون. وكـانت مدرسـتـه هى أولى المدارس البحثـية فى مصر والبـلاد العربية فى هذا المجال .

ولما تجلت مواهبه العلمية ، تم اختياره لإنشاء أول مـعهد قـومى للفيزيقـا خارج الجـامعـات وهو المعهـد القـومى للقيـاس والمعايـرة عام ١٩٦٥ ليكون حجـر الزاوية فى خدمة جميع البحوث العلمية والتطبيقية والصناعية التى تعتمد على القياس الدقيق، وما زال المعهد صرحا من صروحنا العلمية الشـامـخة . وتوالـت إنجازات الدكـتـور رمضـان هدارة ونضجت فـدراته العلمـية فاختير أمينا عـاما لأكاديمية البحث العلمى والتكنولـوجـيـا لتنشـيط إقـامـة مـدارس للبحوث التطبيقيـة فيها ، وكان يطلق عليه دينامو الأكاديمية، وعند إنشاء وزارة البحث العلمى عين الدكتور رمـضان هدارة وكيلا أول لها للإسهام فى إرسـاء سياسة البحث

العلمى على أسس ثابتة ومستقرة لخدمة الاقتصاد القومى ووضع السياسات العلمية للبحوث المتقدمة ، ومن الجدير بالذكر أن هذه المراكز العلمية الرفيعة لم تشغله عن ممارسة نشاطه العلمى الأصيل ، فظل يوالى نشاطه أستاذا باحثا فى الإشعاعات المؤينة بالمعهد القومى للقياس والمعايرة حتى اليوم ، وقد وضع فيه حجر الأساس لإنشاء معهد قومى للإشعاع وقياساته .

وللدكتور سيد رمضان هدارة بصمات واضحة أخرى فى العديد من الهيئات العلمية فهو عضو مجلس بحوث العلوم الأساسية بالأكاديمية ، وهو نائب رئيس اللجنة القومية للفيزيقا فى مصر و عضو مؤسس لها . وعمل فى عدد من الهيئات والجمعيات العلمية ؛ منها الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والفيزيقية والجمعية الفيزيقية المصرية ، وهو من أنشط الدعاة إلى التعريف بأهمية العلم وعلاقته بالمجتمع ، حتى سجلت أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا اسمه بين رواد العلوم الفيزيقية فى مصر فى كتابها عن تأريخ العلوم فى مصر .

سيدى الرئيس – سادتى :

هذه صورة مقتضبة عن الدكتور سيد رمضان هدارة الأستاذ العلمى الفيزيقى . أما صورة الدكتور سيد رمضان هدارة الأستاذ العلمى اللغوى فهى لا تقل بهاء وبريقا . فقد شغل منذ أمد بعيد بقضية القضايا فى العالم العربى وهى قضية اللغة العربية العلمية وتعريب العلوم حتى أصبح من أكبر دعاتها ، إيمانا منه بأن اللغة العربية هى الأمة العربية ، وأن العلم ليس دخيلا على هذه الأمة ، بل هو عنصر أصيل كامن فيها ، وفى هذا يقول الدكتور سيد رمضان هدارة فى أحد أحاديثه : إن اللغة العربية التى ظلت على مدى العصور لغة الدين والأدب والإنسانية والاجتماع صالحة صلاح الإسلام نفسه فى جميع جوانبه لحياة البشر ، لا يمكن أن تعجز أو تتخلف عن ارتياد آفاق العلم التطبيقى الحديث بنفس القدرة والكفاءة ، وهى وإن كانت قد تأخرت بعض الوقت عن هذا الركب الحضارى تحت ضغط الهجمات الاستعمارية الشرسة إلا أنها مازالت تحتفظ فى داخلها بعنصر الأصالة الكامن فيها ، أما المزاعم التى ينادى بها بعض أعدائها بقصورها عن مجاراة العلوم الحديثة فتلك

هى سياسة الغـالب تجاه المغلوب ؛ لضمان تبعـيته اقـتصاديا وسـياسيا واجـتماعـيا . ويوالى الدكتـور سيد رمضان هـدارة رفضه القاطع لمثل هذه المزاعم السقيمة بكلمة فيها شىء من المرارة يقول فيها : "قد يكون من الطبيـعى أن نسمع هذه النغـمة المرذولة من أعداء يكيـدون للأمة العربيـة ولكن المفزع حقـا أن يكون نفر من بـين هؤلاء الأعداء من بنيها عن قصد أو غير قصد" .

كل هذه الآراء والمزاعم عـــبـر عنهـا الدكـتور سيـد رمضـان هدارة ورددها فى عـدد من المؤتمـرات والندوات والإذاعـات والمجلات فى أسلوب عـذب قوى . ومن بين كلمـاته المأثورة عـن تعـريب التـعليم بالكليـات العمليـة الجامـعيـة : "إن تلقى العلم بلسـان أجـنبى كـارثة بعـيـدة المدى لإعاقة التقدم الحضارى ودعوة مرذولة لنشر التبـعية والانتمـاء الفكرى وجريمة فى حق اللغة العربية" .

ولم تقـتصـر جـهود الدكـتـور سيـد رمضان هدارة على الأحاديث والمجلات، بل إنه أيدها وأرساها بجهود علمـية بناءة فقد كـان يحاضـر فى مـوضوعـات الفـيزيقـا بالعـربية فـى الصفـوف الأولى بالجـامعـة وبالإنجليزية فى الصـفوف العاليـة ، وكان قريبـا لنفوس طلابه تلين فى عباراته أعـقد المسـائل بأى من اللغـتين . وألف فـيـهـا الكتب الدراسيـة وترجم العديد من الكتب العلمية المرجعية أذكر منها .

- الطبيعة النوويـة لهيزنبرج وبه ٣٣٦ صفحة ونشر عام ٥٦
- الفيزيقا للجامعات (هارفى هوايت) وبه ١١٠٠ صفحة ونشر عام ٦٤
- تجـارب فى الذريـات (برانلى) وبه ١٩٠ صفحة ونشر عام ٦١
- أصوات لاتسمع (فوق السـمعيات) (فدريا نستف) ١٨٣ صفحة ونشر عام ٥٧
- مقدمة فى الفـيزيقا الذرية والنووية (سمات) ٩١٥ صفحة ونشر عام ٦٧
- المبادىء الأساسية فى الفيزيقا الذرية (بيرنجر) ٥٩٠ صفحة ونشر عام ٦٢

ومن تأليفـه : خواص المادة والصوت ١٧٠ صفحة عام ٦٠

- الكهرباء المغنطيـسية ٣٢٤ صفـحة عام ٦٢

ولم ينس الناحيـة الثقافية العـلمية فى أعـمالـه فكتب فيـهـا وترجم العـديد من الكتب العلمية العالمية الثقافية أذكر منها:

- آفـاق العلم (باول) ٢٤٣ صـفحـة نشر عام ٦٠

- المعرفة والتساؤل (فايسكوف) ٢٥٣ صفحة نشر عام ٦٢

- رحلة إلى الفضاء (دوبرى) ٢٥٧ صفحة نشر عام ٦٢

- كوكب اسمه الأرض (جاموف) ٢٨١ صفحة نشر عام ٦٦

- حملة مشاعل التكنولوجيا (منستر) ١٦٧ صفحة نشر عام ٦٦

- الحياة والطاقة (أريموف) ٤٥٨ صفحة نشر عام ٦٨

- هذا الهواء وهذا الماء (بلزويرت) ٢٠٦ صفحة نشر عام ٦٧

- الذرات والطبيعة والإنسان (هانز) ٦١٠ صفحة نشر عام ٧٢

ومن مؤلفاته الثقافية :

- الضوء والألوان ٧٣

- قصة الطيران ٧٢

- الزمن ٧٣

- الطاقة الذرية ٧٣

- باقة من الأضواء ٧٤

وعندما توج جهوده بانضمامه إلى مجمع اللغة العربية خبيرا علميا شارك مشاركة فعالة فى وضع مصطلحات الفيزيقا الحديثة والتعريف بها . وله آراء بناءة فى اختيار المصطلح العلمى العربى ، يقول فيها : "إن السلوك العلمى للفظ قد يكون مطاطا فى بعض التعبيرات الأدبية أو الشعرية أو الفنية التى تتطلب أحيانا تجاوز الدلالة الظاهرة إلى دلالة مجازية أوإيحائية لإضفاء لمسة جذابة من الجمال عليها ، إلاأن اللغة العلمية لها أسلوب محدد صارم الدلالة لايقبل الإيحاء أو الغموض أو اللعب بالألفاظ تحت أى مسمى" . وقد شارك الدكتور رمضان هدارة فى وضع أسس اختيار المصطلح العلمى بالترجمة وبالتعريب بما يضمن سلامة البنيان اللغوى العربى للمصطلح والتعريف بمدلوله تعريفا علميا معجميا سلسا .

بهذه الآراء والأعمال شارك الدكتور سيد رمضان هدارة فى إخراج عدد من المعجمات العلمية الفيزيقية بالمجمع أذكر منها :

- معجم الفيزيقا النووية والإلكترونيات ١٢٠٠ مصطلح

- معجم الفيزيقا الحديثة (جزآن) ٥٠٠٠ مصطلح

- معجم المصطلحات النووية للجنة الطاقة الأمريكية ١٠٠٠ مصطلح .

وعنى الدكتور سيد رمضان هدارة بموضوع الرموز التعبيرية والرسوم الإيضاحية والبيانية وكتابة المعادلات الرياضية باللغة العربية بأسلوب يتفق وطبيعتها ويفى بمتطلبات التطبيقات والتقنيات الحديثة ، وقد شارك فى إخراج كتاب الوحدات والدلالات والرموز للمجمع . وهو يشارك حاليا فى إخراج أكبر موسوعة للفيزيقا الحديثة سوف تشمل ٢٥ ألف مصطلح .

وسيداتى سادتى :

من أجل هذا التاريخ الحافل وهذا الإنتاج المتميز وهذه الجهود الوضاءة فى خدمة اللغة العلمية العربية اختار مجمع اللغة العربية الدكتور سيد رمضان هدارة وهو يرحب به ويستقبله اليوم عضوا عاملا يشغل كرسيا فى مجلسه بين رواده وسدنته عن جدارة ، فهنيئا له وللمجمع .

والله تعالى الموفق والمعين .

محمود مختار

عضو المجمع

كلمة العضو الجديد الأستاذ الدكتور
سيد رمضان هدارة
فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

أستاذى الدكتور إبراهيم مدكور

رئيس المجمع :

الأساتذة أعضاء المجمع :

سيداتى وسادتى :

قيض الله لى شرف الانضمام إلى زمرتكم وجعلكم السبب ، فله الحمد والشكر ، وإنى لأسأله جلت قدرته أن يجزيكم عنى خير الجزاء ، فمهما أوتيت من قوة البيان فلن أستطيع أن أوفيكم حقكم من العرفان بالجميل ، الجميل الذى بلغ ذروته بمنحى شرف صحبتكم فى أداء الرسالة المقدسة التى وقفتم حياتكم عليها. لقد ظللت أكثر من عشرين عاما أعمل فى رحاب مجمعنا هذا ، أنهل من فيض علمكم وأقتدى بكم وأسترشد بحكمتكم ، وها أنتم الآن تمنحوننى فرصة مواصلة المسيرة وتحققون أمنية غالية كنت أدعو الله دائما أن يحققها لى بأن أكون من خدام لغتنا العريقة ، وأسهم فى إزالة ما علق بها من غشاوة حجبت ثراءها ورحابتها عمن عجزوا عن رؤية ما فيها من قدرات تستطيع بها مسايرة كل عصر وكل حضارة.

سيداتى وسادتى :

لقد قدمنى أستاذى الدكتور محمود مختار بما رآه فىَّ من صفات ، وهذه هى رؤية عين الرضا ، وإنى أقولها كلمة حق إنه لولا أستاذى الدكتور مختار ما استطعت أن أخطو خطوة فى مسيرتى خلال الخمسين عاما الماضية ، فهو الأب الحنون والمعلم الأمين والخل الوفى يسعد بدفع أبنائه وتلاميذه وخلانه قدما ويزهو بهم ، يمدهم بالعلم والنصح ما وسعه ذلك . وإنى لأدعو الله أن يمتعه بالصحة والعافية ، وأن يحقق له الدعوات الصالحات التى يدعو له بها الأعداد التى لاحصر لها من أبنائه وتلاميذه لما أمدهم به من فيض علمه وكرمه .

سيداتى وسادتى :

شاء الله أن أخلف عملاقا عظيما ، هو أستاذنا الراحل عبد السلام هارون

رحمه الله، وهذا شرف أزهو به ، ولكنى أشفق على نفسى من العبء الذى يقتضيه هذا الشرف .

فإننى أعتقد أن الخلف محمل بأمانة ومسئولية ضخمة ، أقل ما فيها أن يتخذ من سلفه قدوة ، وأن لا يكون أبطأ منه خطى، ولا أقل عطاء . وهذا هو ما يؤرقنى فنحن أمام عملاق فى العلم والأدب والأخلاق والعطاء قلما يوجد له مثيل ، فسيرته مليئة بالأعمال والمنجزات التى لايضارعه فيها إلا القليل ، وإني لأدعو الله أن يهبنى القدرة على أن لا يكون مستوى أدائى بعيدا بدرجة كبيرة عن مستواه .

وإننى لن أستطيع تناول سيرته العطرة فى هذا المجال لسببين أولهما : أن أى إنسان مهما أوتى من بيان لا يستطيع تلخيص هذه السيرة الثرية بالأعمال والمواقف تلخيصا يوفيها حقها فى الدقائق المتاحة ، والسبب الثانى هو أنكم ومجتمع المتخصصين أدرى الناس بالدرر التى تركها هذا العالم الجليل ، وفيض النور العظيم الذى أضاء به التراث لينهل منه كل من أراد أن يصل ماضينا بحاضرنا ، ولكنى أستأذنكم فى أن أتحدث عن بعض الخواطر التى تخطر ببالى كلما مر هذا الرجل بذاكرتى وكلما إستعرضت سيرته العطرة ، فهى مليئة بالنقط المضيئة التى تبهر العيون وتستحث الإنسان على أن يتخذه قدوة. فبادىء ذى بدء إننى اعتقد أن الله قد اصطفى هذا الرجل وجعله من الأخيار ، فلقد أنبته نباتا حسنا فى أسرة ذات فضل وعلم فهيأه بذلك للقيام بما قام من أعمال وما أخرج من درر ، وإلا فكيف نفسر اختياره مهنة من أشق المهن فى الأدب ، وهى مهنة تحقيق التراث التى تتطلب صبرا وأناة وأمانة بالإضافة إلى القوة الجسمانية ، وهى فى اعتقادى أشق من الدراسات الأدبية والإبداع والترجمة إذا أنها تتطلب فهما عميقا لأصول اللغة ومعرفة وثيقة بمؤلف الكتاب وأسلوبه ، واستيعابا للقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والشعر والشعراء والنثر والكتاب ، وما إلى ذلك من معلومات ومعارف لا يستغنى عنها المحقق المدقق ، هذا بالإضافة إلى المشقة البدنية فى قراءة المخطوطات ومقابلة النسخ المختلفة للمخطوط الواحد ، والتحقق من التحريف والتصحيف ، وبالرغم من هذه المشقة كلها فقد حقق ما يربو على ١١٥ كتابا وذيلها بالفهارس ، وجدير بالذكر أن

بصماته واضحة على فن الفهرسة وإبداعه فيه لا يخطئه أى باحث ، وبالإضافة إلى ذلك فقد كتب المقالات ، وأنتج البحوث وألف الكتب . لقد بدأ التحقيق وهو فى السادسة عشرة من عمره وظل يحمل الأمانة حتى توفاه الله وهو على أعتاب الثمانين ولم يشأ أن يؤثر نفسه بهذه الخبرة فى التحقيق فألف كتابا فى تحقيق النصوص ونشرها ليكون هاديا لمن يجد فى نفسه القدرة على انتهاج هذا النهج ، ولقد قدره المجتمع العلمى واعترف بعلمه وهو لا يزال شابا . ولعل أوضح دليل على ذلك انهيار القواعد والتقاليد الجامعية أمامه ، فلقد انتقل من مدرس ابتدائى إلى مدرس بكلية الآداب فى عام ١٩٤٥ أى بعد تخرجه فى دار العلوم بثلاثة عشر عاما ، ثم تدرج في سلك الوظائف الجامعية حتى الأستاذية ، ومن آيات التقدير أن مجمعنا هذا منحه جائزته الأولى فى التحقيق والنشر عام ١٩٥٠ ، كما ظفر بجائزة الملك فيصل العالمية فى الأدب عام ١٩٨١ .

ولقد كان إلى جانب ذلك كله إنسانا ورعا عطوفا ، وسيرته مليئة بالمواقف التى تتجلى فيها رعايته لتلاميذه ونصرته للحق، ولعلكم بعد هذا كله تتفقون معى على أنه كان مصطفى وكان من الأخيار ،وأنه قدوة حسنة ، وطوبى لمن اقتدى به ونهج نهجه.

سيداتى وسادتى :

لقد قضيت فى رحاب المجمع كما أسلفت أكثر من عشرين عاما ، عملت خلالها خبيرا بلجنة الفيزيقا ، وتعلمت الكثير من أساتذتى الذين أعتز بالتتلمذ لهم، وأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ، أستاذ الفيزيقيين الأستاذ مصطفى نظيف رحمه الله ، وأستاذى الفاضل الدكتور محمود مختار أمد الله فى عمره ومتعه بالصحة والعافية ، وأستاذى الدكتور محمد مرسى أحمد رحمه الله والأستاذ الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش رحمه الله والأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس رحمه الله وأستاذى الفاضل الدكتور شوقى ضيف متعه الله بالصحة والعافية . لقد تعلمت منهم جميعا أصول المهنة ، وأدعو الله أن يوفقنى لأزيد من جهدى وأسهم فى مجالات أخرى غير مجال الفيزيقا ، وأعاهد الله على أن أبذل ما وسعنى من جهد فى خدمة لغة القرآن الكريم ، وأن أكون عند حسن ظنكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سيد رمضان هدارة

عضو المجمع

كلمة المجمع
فى استقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور
عبد الحافظ حلمى محمد

للأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن
عضو المجمع

الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور

رئيس مجمع الخالدين :

السادة الخالدون أعضاء المجمع :

أيها السيدات والسادة ضيوفنا الكرام :

إنه ليومٌ جِدٌّ عظيم ومرموق من أيام مجمع اللغة العربية المجيدة ، نستقبل فيه عضواً جديدا عظيماً ومرموقاً . هو علم من أعلام البيولوجيا ، مرجع عالميٌّ من مراجع علم الأحياء الدقيقة وطفيليات أمراض الحيوان منها على وجه الخصوص، أكاديميٌّ ثبَتٌ ، معلِّمٌ فذٌ ، حاذق لفن الصحافة العلمية ، أسطورةٌ فى تبسيط العلوم الطبيعية والتثقيف العلمى للجماهير، مترجمٌ موهوب فنان . وهو أيضا محبٌّ للغة العربية الشريفة ، متيِّمٌ إثرَها ، كَلِفٌ بتقصى أسرارِها ، صارمُ الالتزام بقواعدها وأصولها، منقِّبٌ عن كنوزها ، خبيرٌ بمعادن جواهرها ، عارفٌ ببحور لألئها ؛ عميقُ الإيمان بقدرتها على استيعاب العلوم الطبيعية تدريساً وبحثا . وشواهد هذا الحب وهذا الإيمان متمثلةٌ بجلاءٍ فى إنجازاته الكثيرة فى هذا المجال : من كتبٍ مؤلَّفة ومترجمة ، ومن بحوثٍ ومقالات علمية نشرتها له كبريات المجلات، واستضافَته من أجلها مؤتمرات وندوات فى العالم العربى وخارجه؛ ومن تبحُّرٍ في تاريخ العلم العربيٌ ، وعضوياتٍ مرموقة فى هيئاته ومحافله ، وأبحاث أصيلةٍ وفريدةٍ فيه؛ أما إنجازاته العلميةُ المتخصصةُ فغزيرة وثرية ومتميزة ومنشورة فى مجلات علمية عريقة منتشرة فى أطوال المعمورة وعُروضها : بمصرَ والهند والولايات المتحدةِ الأمريكية ، وبريطانيا ، ورومانيا وهولاندا والكويت. وأما عضوياته العلميةُ والأكاديمية فمتنوعة ومرموقة فى مصر وفي خارج مصر .

ذلكـــم ، أيها السادة ، هو ، عبد الحافظ حلمى محمد الذى تحدث

الإنجليز منذ نَيِّفٍ وثلاثين سنةً فى كبريات دورياتهم العلمية عن رسالته للدكتوراه عندما نشرتها له كاملةً جامعة القاهرة باللغة الإنجليزية التى كُتبت بها ؛ فأشادوا بها عَرْضا ونقداً وتقريظا . وطار اسم «محمد» فى الآفاق العلمية هناك بعد هذا العرض ، « ومحمد » هو اسم الشهرة العلمى لعبد الحافظ . وأشاد الباحثون والمطبقون فى تخصص مالاريا الطيور فى بحوثهم ودراساتهم بتعبيرات مثل « بِنية محمد » لطفيلى كذا وكذا ، وغير ذلك من تعبيرات علمية تقترن باسمه فى هذا المجال. ذلكم: عبد الحافظ حلمى محمد الذى عاد من بعثته العلمية فى بريطانيا إلى مصر فى أول العَقد السادس من القرن ليتدرج فى مناصب الجامعة حتى تولى عمادة كلية العلوم بجامعة عين شمس فى أواسط السبعينيات ؛ والذى تشعب وتنوع نشاطه الأكاديمى فى الجامعة ، وفى الجمعيات العلمية ، والمؤتمرات ،ومحافل الفكر والثقافة ، ومضامير الصُّحافة العلمية والتثقيف العلمى للجماهير ؛ فكان فيها كلُّها العضوَ المبرِّز ، أو المقرر الحاذق ، أو المستشارَ السديدَ الرأى ، أو الخبيرَ النابه أو نائب الرئيس. شغل هذه المناصب فى: المجمع المصرى للثقافة العلمية ، فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، فى أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا ، فى جمعية علم الحيوان المصرية وأختها البريطانية ، فى الأكاديمية المصرية للعلوم ، فى مجلة «العلم» المصرية رائدا من رواد تأسيسها ومستشاراً لها منذ أول السبعينيات حتى اليوم ، وفى مجلة « العلوم » الأمريكية محرراً مرموقا ومترجماً مُجيداً ، وفي جمعية تاريخ وفلسفة العلوم المصرية أميناً عاماً بل راعياً دائما .

هذا ، أيها السادة ، « عبد الحافظ حلمى محمد » الذى لم يغب بعيدا عن وطنه منذ عودته من بعثته العلمية ، باستثناء مشاركاته فى المؤتمرات العالمية التى يدعى لها ، إلا بعد تاريخ حافل يانع الثمر فى خدمة الجامعات والهيئات العلمية والثقافية بمصر ؛ وإلا بعد أن توطدت مكانته الأكاديميةُ وذاع صيته العلمى ، وتخرجت على يديه أجيال من قادة البحث العلمي في وطنه الآن . وعندئذ لبى دعوة من دولة عربية ناشئة فى مجال التعليم العالى والبحث الجامعى فأمضى بها

سنوات قدَّم فيها خدمات علمية جليلة ، وأسهم بسخاء ونجاح فى إرساء قواعد التعليم العالى والبحث العلمى والثقافة العلمية الجماهيرية بها ؛ كما خدم هناك اللغة العربية فى مجال الاستعمال العلمى، أسهم فى كل هذه الميادين بآثار مشهودة ، مشكورةٍ له ومذكورة، ثم عاد إلى الوطن أستاذًا متفرغاً فى جامعته التى شهدت أوج نجاحاته وإنجازاته ؛عاد مرغوبا فى خدماته وخبراته هنا وهناك من كل المؤسسات التى أخلص لها العمل وأدى الأمانة ، سواء منها التى بالوطن أو التى فى الخارج ، وإن القائمين عليها ليقصدونه دائما أو يراسلونه طامعين في توجيهاته وآرائه وخبراته .

وما إن عاد عبد الحافظ إلى الوطن حتى عاوده الشوق القديم يدفعه بكل حرارة إلى محط اهتماماته وأحب معاهد نشاطاته إلى نفسه ، إلى مجمع اللغة العربية ولجنة علوم الأحياء به ، التى عمل بها خبيراً منذ أول السبعينيات ، فأخلص وتفانى وأبدع عدة سنوات حتى اخترتموه عضواً بين الخالدين .

هذه، أيها السادة ، أضواءٌ خاطفة فقط على منجزات عبد الحافظ حلمى العلمية ، ونشاطاته الثقافية ، واجتهاداته فى اللغة العربية لغة للعلوم ، وجهودِه فى نشر الثقافة العلمية ، لم أعدِّد فيها بالتفصيل أو الترتيب الزمنى شهاداتِه وألقابَه العلمية ووظائفَه التى تقلّدها وأبحاثه التى أنجزها ونشرها طَوال أربعة عقود من الزمان ، ولم أُحصِ فيها كتبه ومترجماتِه ورياداتِه فى الصحافة العلمية المحلية والعالمية ؛ فهذا كله كان بين أيديكم في ثَبَتٍ وافٍ مضىءٍ بتاريخه العلمى والوظيفى إبان ترشيحه لنيل عضوية مجمعكم الخالد . لكنّ ما هو جدير بألا يفوتنى التنويه به هنا والذى لا تسجله مثلُ هذه الأثبات الرسمية هو عبد الحافظ حلمى الإنسان ، والصديقُ ، ورجلُ المواقف الشجاعُ العاشقُ للحق ، وعبدُ الحافظ المربى والشخصية الموسوعية والثقافية .

وهيهات أن يكفى الوقت المتاح فى هذا المقام للإحاطة بكل ما ذكرت من شيم كرام ؛ وهو فيها جميعا كارم عن كارم فقدكان والده - عليه رحمة الله - مربيًا نموذجيًا ذا تاريخ مشرِّفٍ فى مجال التعليم ، كما كان أيضا محاميا فذاً موهوباً

ذا حجة ساطعة وتاريخ حافل فى عالم المحاماة ، بعد أن ترك مهنة التعليم . وقد كاد عبد الحافظ أن يرث مهنة المحاماة عن والده من شدة ما طُبع عليه من حب فى دعم الحق وإظهاره لولا التحاقه بكلية العلوم . ولالتحاقه بها قصة طريفة ، فقد كان والده - رحمه الله - يرقب دون تدخل اختيار ولده لتخصصه فى السنة النهائية من المرحلة الثانوية . ويبدو أن الوالد كان مرتاحا لاختيار الفتى شعبة الآداب ودخوله فصلا فيها أنشأته المدرسة خاصة لمن يرغب التخصص فى اللغة العربية . ويعترف عبد الحافظ أن الناقدين من أصحابه أنكروا عليه هذا الاختيار ، وتكاثروا عليه متسائلين.هل يرضى أن يمضى حياته معلما للغة العربية ؟ ويعترف أيضا أنه لا يدرى لماذا لان لهم فنقل نفسه إلى شعبة العلوم ، ويبدو أن الوالد لم يرض فى أول الأمر عن هذا التحول حتى التحق الفتى بكلية العلوم ، ودرس علم الحيوان ، فرآه الوالد فيما يرى النائم يذبح جملا ويُخرج من جوفه أشياء كثيرةً ناصعة البياض ، فأوَّل الرؤيا بأنها خير كثير يكتبه الله لولده فى دراسة علم الحيوان ، وقد تحققت الرؤيا ، ولو أن الوالد فى بعض المناسبات اللاحقة قال لولده إنه كان يصلح لدراسة القانون والاشتغال بالمحاماة ، فجاء رد الفتى بروح المحامى الأريب مدافعاً عن اختياره فى الوقت نفسه غير منكر ميله واستعداده الفطرى ، قال : « يا أبت إن القوانين الوضعية من صنع الناس ، أما الكائنات الحية التى اخترت دراستها فهى من صنع الله ،وأنا أحب أن أدرس مخلوقات الله » . ومع ذلك فإن عبد الحافظ مارس مهنة المحاماة بالفعل بعد أن تخرَّج وصار أستاذًا لعلم الحيوان ! وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة . فقد أتاه صديق ذات يوم متبلبل البال من قضية له كان يائساً من إثبات حقه فيها ، فلما اقتنع عبد الحافظ ببراءته عكف على أوراق القضية وأعد مذكرة قدَّمها الصديق للمحكمة فكانت سببا مباشراً لكسبه القضية. هذا موقف كان بساحة المحكمة ، لكن عبد الحافظ وقف نفسه دائما على الذود عن الحق ومساندة أصحابه فى كل مجال وبكل جهد وصدق.

وإذا تحدثت عن عبد الحافظ الإنسان فإنى أبخسه حقه إذا ظننت أنه يمكننى أن أجليَّ ولو بعض جوانب إنسانيته الراقية فى دقائق معدودات . وإنى لأحار فأسائل نفسى : هل أتكلم عن حلمه أم عن مروءته ونجدته ، أم أتكلم عن المفهوم العالى للصداقة عنده ، أم أتكلم عن إيثاره أم عن بشاشته وهشاشته ؟ أم أتكلم عن

تواضعـه ؟ أم عن إيمانه وحسن تدينه ؟ أم أتكلم عن وفائه ؟ لكننى أختـار هنا بعض الجوانب مـن كل هذا . فإذا ذكـرت البذل والإيثار ، فهـو مثال فيهمـا لم نعد نسمع عنه إلا فى كـتب التـراث . فمـا عـرفت طوال خمسة وثلاثين عـاما من صداقتى له أنه تقـاعس يوما عن خدمـة إنسانيـة يمكنه القـيام بهـا سواء فـى صورتهـا المعنوية أم المادية ، بل إنه ليذكّرنى فى هذه الخَلّة بهرم ابـن سنان الـذى قـال فـيـه زهيـر بن أبى سلمى : « تراه ، إذا ما جئته ، متهلّلاً

كأنك تعطيه الذى أنت سائله »

فقاصدوه من أصحاب الحاجة وطالبى المشـورة لا يخـيب قـصـدهم عنده أبداً ، يلقـون عنده البـذل الدافع والرأى النافع ، مضـافا إليـهما الابتـسامة الحلـوة والكلمة الطيبة والتمنيات الصادقة .

أما عن أمثلة وفائه فهى كُثر ، وأبرزها حديثه عن شـيوخه ومعلمـيه وذكره الدائم لهم ، وعلى رأسـهم مـعلّمُـه الأول والده عليـه رحمـة الله . كم سـمـعت منه عن أمثال عبد الحميد النجانى، وعلى الجندى، وأحمـد فؤاد الأهوانى من مـعلميـه الذين أثروا فى حيـاته فى مرحلة ما قبل الجـامعة ومن أمثـال كامل منصور،ومحـمد ولى ، وحماد الحسينى، و شورت، رحمهم الله؛ ورشـاد الطوبى ، ومـــحـمـود حـافظ ، وجارنام : أطال الله في أعمارهم ومتعهم بالصـحة من شـيوخـة الكبار فى مـرحلة الجامعـة ، يذكر لهم فضلهم دائمـا ويشيد بعلمهم ويثنى على خلقهم .

أما عـن مفهـومه للـصداقة ، فـأنا أعـرف الناس به ، فـإنه لـيـعـرف المعنى الاسـمى لها ، وإنه ليـستـميت ويضـحى بالكثـير فى سـبيل الحفـاظ عليهـا . وإنه ليخلص لصفيِّه النصح فيصارحه بخطئه إذا كـان مـخطئـا ويحـذره ويبـصّـرُه ؛ وإنه ليشجعه بكل حـماس ويسانده بكل قوة إذا رآه على جـادَّة الحق . تقصـده لتسرَّ إلـيه بذات نفسك فيحفظ السر ويمنحك المشورة والرأى الصائب ، وتلجأ إليه بهمومك من أزمة أو مـحنة فتـجد عنده القلب المفـتوح الحـانى ، وتجـد عنده الـسلوى والمواسـاة الصادقة ، والـكلمة الحلوة التى هى بلسمٌ لجراح النفس .

لقـد طالت زمـالتى له على صـداقـة متـينة عمراً طويلا نـعمت فيـها بكل هذا الصـفـاء والنقـاء والمروءة ؛ كنا صـديقين صدوقين فى السراء والضـراء ، وفى اليسر وحين الأزمات ، وكـانت تدعم صداقـتنا وتزيدها وثوقا اهتـمامات مـشتركة علمـية وروحـيـة وحـيـــاتيـة ، وإن أقـوى هذه الاهتـمامـات التى ربطت بين هذه المناحى جمـيعا لهى حبنا المـشترك للغة العـربية ،

اللغـةِ العـريقـةِ المشـرَّفـة بالقـرآن الكريم والحديث الشريف ، اللغـةِ الفاتنةِ الساحرةِ في فنونها وعلومـها . كم التقينا وسـعدنا باللقاءات في خـدمة لغة الضاد في مـجال تثبيت مكانتها وشـق طريقها وتمهيده للأداء العلمي : مـن تأليف وتبـسـيـط للعلوم، وترجمـة لأمهات الكتب العلمـية حديثـها وقديمهـا ،وإحيـاء وتحقيق للتـراث العلمي العـربي ،وتحـرير للمـقـالات العلمـيـة. وتخطيط وإصدار للـمجلات العلمـية ولم تعـدم لقـاءاتُنا تلك في رحـاب الضـاد جلساتِ سمرٍ ممتعـة واستمتاع بالروائع من نثر وشعر يرويـها أحدنـا ويستمـع الآخر أويعلّق .

وجمـعتنا أيضا صـلات أخرى فكريةٌ طوال سني صـداقتنا في مـجالس أحـياها اهتـمامنا المـشتـرك بعلم الحياة حـديثهـا وقـديمها ، وبعلم الأرض : مـهـدِ الحيـاة ومهـبط العقل ومـسرح التطور . ومـجالٌ آخر كان يستهوينا الجلوس له ، ذلك مجال تاريخ العلوم الطبيعـية وفلسفتُهـا وبخاصة عند العرب . وعبد الحـافظ أستاذٌ مبرِّز في هذا المضمار . وأخيرا وليس آخرا لا أنسى مجال تبـسيط العلوم والصِّحافـة العلمية ، كمْ جلسنا وخطـطنا وبحـثنا ، وحلمنا . . فتـحقـقت الأحلام وصار مـعظمهـا اليوم واقعا ملموسا .

أمـا عن عـبـد الحافـظ الشخـصيـة الموسـوعية فـحدث ولاحـرج ، هو طراز نادر في موسوعيته ، تجد ضالتك عنده في أي مـجـال ، إن لم يكن فـي الحـال ، فبـتزويدك بكتاب عـنها أو مقـال . سألوا برتراند راسل أعظم علماء وفلاسـفة القرن العشـرين عن المتخصص فـأجاب : « هو من يعـرف كلَّ شيء عن شيء ، ويعـرف شـيـئاً عـن كل شيء » ؛ وهـذا خـيـر تعـريف لعبـد الحافـظ حلمي المتخـصص المثـقـف ، الذى أقـدمه لكـم اليوم أيهـا السـادة الخـالدون ليأخـذ مكانـه علمـا بينكـم ، يؤكـد عظمـة هـذا المجـمع الخالـد فيما خلا وفـيما سيأتي من السنين بمن يجـتبى من قمم تجـمع بين التعـمـق والعبـقرية فـي العلـم ، وبين التـمكـن من اللغة وامـتلاك ناصيتـهـا . أقدم لكم الأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمـى محمد علمـا تفـخر بـه ساحـة الخـالدين ، يعـيد إلى الذاكـرة عبقـرية أحمـد زكى ، وأستـاذيةَ مصطفى نظيف ،ومـوسوعـية عـبـد الحليم منتـصـر ، وتفرُّديـةَ حامـد جوهر . عـاش هذا المجمع قلعـة للأعلام ومدرسة للأجيال

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمـد يوسف حسن

عضو المجمع

كلمة العضو الجديد
الأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمى محمد
فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، ولىّ التوفيق والنِّعم . .

والصلاة والسّلام على رسوله الأمين، الذى أوتى جوامع الكَلِم .

سيدى الأستاذ الجليل رئيس المجمع :

سادتى النُّجب أعضاء المجمع :

أعجِز عن التعبير عن عظيم امتنانى لكم ، وقد أذنتم لى أن أنتسب إليكم وأن أختلف إلى ناديكم ، بعد أن ظللت خبيرا بالمجمع يحوِّم حولكم رَدَحًا من الزمان ، ولا يُلمُّ بمجلسكم إلا بضع مرات كلَّ عام. ولكنْ ماذا يقول العِيىُّ فى حضرة المصطفين من أئمة الفصاحة وأمراء البيان ؟ ليس له، وقد انعقد لسانه ، إلا أن يَدَعَ فؤاده ينبض بعظيم الثناء عليكم وصادق الدعاء لكم .

أما أخى ، الدكتور محمد يوسف حسن ، فهو يطوِّق جيدى بمآثر جمة : قدّمنى إلى المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية منذ نحو ثلاثة عقود ، ثم زكّانى لديكم ، وها هو اليومَ يجمِّلُنى ويُطْرينى وهو يقدمنى إلى حضرتكم . . . وتلكم منه مِنّة أخرى ا وقد خلع علىَّ الأخ الكريم من المديح ما لو صدَّقت بعضه لملأنى تيها وغرورا . . «وكم فى العُرس أبهى من عروس» . وإنما هى عينُ الرضا، وإنما هو قلب الصديق المحب العطوف ، جزاه الله وجزى أساتذتى فى لجنة علوم الأحياء والزراعة، عنى خير الجزاء، ورحم عَلَمَيْن عظيمين منهم رحلا عنا هذا العام.

أيها السادة . . لقد كان طريقى إليكم طويلا متشعب السُّبُل ، ويضيق وقتكُم الثمين حتى عن التنويه ببعض معالمه ، فأكتفى بلقطات .

منذ أكثر من نصف قرن من الزمان ، كان الفتى فى الصف الرابع الثانوى ،

أوسنة شهادة الثقافة العامة . وذاتَ صباح ، جاء مفتش اللغة العـربية (أو الموجِّه ، كما يتلطفـون فى وصفـه هذه الأيام) ليختبـر التلامـيذ وأستاذهم . وطلب المفـتش من يشرح قول الشاعر :

قبابٌ كما تُزجَى القباب على المها
ولكن من ضُمت عليه أسودُ

فبادر الفتى إلى الإجابة كما تعلَّمها ، ولكن بدا عليه أنه لم يقتنعْ ببعـض ما فيها فـأردف علـى استـحيـاء قـائلا : وكـان الأولى بالشاعر أن يقول : تُرخَى القباب ، لا تُزْجَى .... » . ولابدَّ أن الفـتى قـد أعجـبه تقمُّصُ دور الناقـد الأدبى ، كمن كان يقرأ لهم فى «رسالة » الزيات و«ثقافة» أحمد أمين ،فاستطرد قائلا : « ولعلها من تصحيف النُسَّاخ ! »

وهنا انقعس المفتش ، وكـان سمهرىَّ القوام ، وقال : «ما اسمُك ؟» وخيل إلى الفتى أنه قد دخل التاريخ وسُجِّل اسمه بين روَّاد النقد الأدبى عندما دوّن المفـتش اسمه فى مفكرته الرسمية ذاتِ الغِلاف السميك.

بل إن سذاجته صـوّرت له أن هذه الواقعة كان لها فضلٌ فى فـوزه فى مسابقة الأدب العـربى التى عـقدتهـا وزارة المعـارف فى صيف ذلك العام !

وكان امـتحانٌ تحـريرى ، ثم امتـحان شفوى رأس لجنته المجمـعى الكبير الدكتور طه حـسين نفـسه . وسـأل أحـد أعضـاء اللجنة الفتى : أيظن أن طه حسين يستطيع أن يكتب أدبا فكاهيـا ساخـرا ، إذا أراد ؟ فـــردَّ الفـــتى دون تردُّد : «نعـم ، إنه يستطيع، وشاهـدى ما قـرأناه له الآن فى كـتاب الأيـام، وهو قوله : وكـان الفـتى يمشى حـافيـا فى نعلَيْه ! » قـالها وعـيناه شاخصـتان إلى عميـد الأدب العربىّ . . . وارتاح باله وهدأ رُوعه حين رأى ابتسـامته العريضة المشهورة ترتسم على وجهه .

وفى الـربيع التـــالـى ، سنة اثنـتين وأربعين ، تسلَّم الـفـتى جـائزته من وزير المعارف ، أحمد نجيب الهلالى باشا ، فى حفل متواضع فى ديوان الوزارة حضره أبوه أستاذُه ، رحمه الله .

وكانت الجائزة منحة مالية ، ومنحة دراسية فى الجامعة ، ومجموعة منتقاة من كتب الأدب ، يتوجها مصحف شريف فخم الطباعة . . وتضم مجلدين من «العقد الفريد» ، ومجلدا من «إمتاع الأسماع» للمقريزى ، و « مع المتنبى » لطه حسين ، و « ديوان حافظ إبراهيم » وجزءا من «شاهنامة الفردوسى» لعبد الوهاب عزام ، وكتابا مترجما ضخما عن «المجتمع ومشاكله» لجروف ساموبل دَاوْ ، وترجمةً عربيةً لموجز تاريخ العرب لسيد أمير على، وترجمة عرَبية لرواية «الطِّلِّسْم» لسير وولتر سكوت ، وأخرى «للسيمفونية الريفية» لتوماس هاردى !

هذه كلُّها حزموها بشريط رقيق من سندس أخضر . ولم يكن هذا من الحزم فى شىء ، فسرعان ما انفك الرِّباط ، وانفرطت الكتب ، وبذل الفتى غاية جُهده فى لملمتها بين ذراعيه الواهنتين طوال الطريق . . . فلما بلغ البيت كانت يداه ترتجفان حتى انسكب على ملابسه قدح القهوة الذى حاولت أمه ، رحمها الله ، إنعاشه به بعد هذا الإرهاق الشديد .

وقد عرف الفتى منذ ذلك اليوم أنه حُمِّل أمانةً ثقيلةً !

وقد قَصَصْتُ عليكم هذه الحكاية ، وأنا أتمنَّى عليكم ، وأنتم رعاةُ العربية وسدنتها الأمناء ، أن يكون للمجمع قولٌ وفعلٌ فى البحث عن الناشئة فى التعليم العام من الموهوبين فى اللغة العربية وتشجيعهم وتعهدهم . . هذا بين الأسباب الكثيرة التى أعلم أنكم تأخذون بها للنهوض باللغة العربية ورفعة شأنها .

ثم لما كان ما كانَ من التحاق الفتى بكلية العلوم ، بدلا من كلية الآداب أو دار العلوم ، ودَّع الفتى هواه وظنَّ «ألا تلاقيا» ولكن خاب ظنه لحسن الحظ ! . . وذلك أننى بعد أن حزتُ الدكتوراه خرجتُ من وصاية كلية العلوم علىَّ ، مع ولائى لها ووفائى بحقوقها وحقوق العلم علىَّ ، وتأكدَّ لى أننى ، حيثُما مضيت، أحمل اللغة العربية فى فؤادى وعلى

كاهلى الضـعيف ، وتحملنى اللغة العـربية على متـونها القوية . فكانت اللغة العـربية عُدَّتى حين قدَّمتُ مقررات بلسانها الفصيح فى كليـات العلوم بمصـر وبعـض البـلاد العربية الأخـرى - وكليات العلوم لاتزال معـاقل للعجـمة والرطانة ، وحين كـتبت وحـاضرت منافـحـا وداعيـا إلى تعـريب تدريس العلوم فى الجـامعـة، وحين نقلت إلى العربيـة عدداً من كـتب العلوم ميَّـسرة للقارئ الـعربى فى أسلوب يبـرأ من غُربة أصله الإنجليزى ، علـى الرغم من التزامى المتـزمـت بالنص المتـرجـم ، وحين ألفت للتعليم العام كتبا فى علم الأحياء بأسلوب يُقنع العقل ويستـميل القلب . كذلك حين هممت لتـسخير العلم لخـدمة فهم تفسـير القرآن الكريم والإسـهام فى إعداد مـعجم علمى لألفاظه ، كانت اللغة العربية عونى فى ارتيـاد الكتب الجليلة الصفـراء ، وفى تجنب مزالق التأويل المخالف للنص القرآنى الشريف . واللغة العـربية هى التى مكَّنتنى من أن أفهم ويُفهَم عنى عندما شاركت فى مجـالس البحث مع علمـاء الدين وفقـهاء اللغـة . ولما اتجـهت نحو تجلـية جـوانب التراث العلمى الـعربى كانت العـربيةُ هى الضوءَ الكاشفَ ومـفتاحَ المُعَمَّـيَات . وفى فلسفة العلم ، تظل الأفكار حبيـسةً مبهمة حتى تكتـسى بأثوابٍ من العبارات البليـغة الدقـيقـة ، ثم فى مجـمعكم هذا الموقـر كـانت عـربيـتـى ، ومـا زالت ، عُـدَّتى وعتادى ، عندما أسهر الليالىَ الطوال منقبا عن مصطلحات عربية للعلوم المستحدثة ، متصيداً من ذخائر ألفاظ اللغة الصُّحاح الملاح !

وهكذا كانت اللغة العـربية معى دوما وسـيلـةً وغـايةً ، هى أشـرف الـوسـائل والغـايات . فاللـغة العـربيـة قد خـدمت علمى، كما أننى خدمتها بعلمى ، لأسهم معكم ، ومع رفاق هنا وهناك ، فى تجديد حيـويتها ، وهى التى أراد الـله لها الخلود بحفظ كتابه العزيز إلى آخر الزمان . ومن عجب أن كلية العلوم ، قد انتهت بى إلى حصن اللغة العربية الحصين . «إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً».

فهأنذا بعد هذا السبح الطويل فى خضم الحياة ، آأرز إلى مجمعكم وألوذ به فى خاتمة المطاف ، مرددا قول راشد السُلمِّى :

فألقتْ عصاها ، واستقر بها النوى
كما قرَّ عينا بالإياب المسافرُ

وقد وجدت بينكم نفسى ، كما يقولون فى هذه الأيام ، ولقيت عندكم هواى المفتقد ، متغنيا مع أبى تمام :

نقِّل فؤادك حيثُ شئتَ من الهوى
ما الحبُّ إلاّ للحبيب الأولِ

أيها السادة الأجلاء : فى هذا الزمان الذى اتسعت فيه آفاق المعرفة الإنسانية ، وتشعبت مباحث العلوم وأغرقت فى التخصص ، أصبح الإلمامُ بهـا ، بَلَهْ التمكُّنَ منها ، ضربا من المحال . ولكن مجمعكم يبلغ الكمال بتكامل أعضائه ، فالجسد لا يحسنُ أداء وظائفه بتكرار أعضائه المتشابهة ، وإنما بتنوعها . وقد أعجبنى ما اقتبسه بعضهم عن ابن قتيبة ، وهو قوله : «من أراد أن يتأدب فليتّسِعْ فى العلم» والعلم هنا هو كل علم وكلُّ العلم.

وفضلا عن شرف غايته ، يخلد مجمعكم الكريم بلمسات البرِّ والوفاء ، فهو جادٌّ فى غير جهامة ، حفىٌّ بأعضائه الجدد ، يستقبلهم باشا حانيا ، كما أنه يحسن وداع من ينتقل منهم إلى دار البقاء. وهو يقدم واجب الوفاء للراحلين على الترحيب بالقادمين . ثم إن له سُنَّةً حميدة، إذ أنه يوحى للخلف بذكر سلفه ، وهذه لَعمرى حكمة بالغة .

وسبحان خالق الموت والحياة . إننى أنضم إليكم شاغلا لمكان خلا بوفاة عَلَم من أعلام الاقتصاد فى مصر والعالم ، وهو المغفور له الأستاذ الدكتور محمد زكى شافعى ، الذى لم أسعد بلقائه ، ولكننى شرفت بخلافتى إياه .

وقد تخرج سلفىَ العظيم ، المنصورىُّ النشأة ، فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة ، بمرتبة الشرف سنة اثنتين وأربعين . ثم

حصل منها على دبلوم القانون الخاص ثم دبلوم الاقتصاد فى سنتى أربع وأربعين وخمس وأربعين ثم أوفد إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث نال درجتَىْ الماجستير والدكتوراه فى الاقتصاد من جامعة برنستون سنتى ثمان وأربعين ، وخمسين ، وعاد من بعدها إلى الوطن مدرسا للاقتصاد بكلية الحقوق .

ولمّا أنشئت كليةٌ للاقتصاد والعلوم السياسية سنة تسع وخمسين كان الشافعى، وهو لم يبلغ وقتذاك بعد الأربعين من عمره ، العميد الأول المبدع لها على غير مثال سابق فى الجامعات العربية ، فأرسى قواعدها ونُظُمَها وتقاليدها ، حتى أضحت بين أغز ما يتطلع الشباب إلى الالتحاق به من كليات الجامعات .

وفى سنة خمس وسبعين اختير الشافعىّ وزيرا للاقتصاد ، ولكنه لم يلبث أن عاد فى العام التالى إلى محراب العلم الأثير عنده فظل أستاذا ثم أستاذا متفرغا بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية إلى آخر عمره .

وكان لسلفى العظيم نشاط علمى كبير ، فقد نشر بين عامى خمسين وسبعين خمسة كتب باللغة العربية وكتابين باللغة الإنجليزية ، فى نُظُم البنوك والنقد والتنمية الاقتصادية ، كما نشر فى بيروت والقاهرة ستة عشر بحثا ، كان اهتمامه فى معظمها بقضايا النقد والتنمية الاقتصادية فى العالم الثالث .

وقد لمع الشافعى فى المحافل العربية والدولية ، فقد عمل أمينا مساعدا لجامعة الدول العربية للشؤون الاقتصادية من سنة ثلاث وسبعين إلى سنة خمس وسبعين ، كما مثَّل مصر فى مؤتمرات دولية فى جنيف والجزائر ونيودلهى ، وقام بأدوار رئيسية فى تلك المؤتمرات ، ودُعِىَ أستاذا زائراً لجامعة جراتز سنة تسع وستين ، بل إنه قد اختير خبيراً بالأمانة العامة للأمم المتحدة بنيويورك بين سنتى ثلاث وخمسين وست وخمسين ، ثم خبيراً لدى مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية سنة تسع وستين ،

وخبيراً لدى مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة الإنسانية سنة إحدى وسبعين . واختير الأستاذ الدكتور محمد زكى شافعىّ رئيساً للجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والإحصاء سنة ثلاث وثمانين . ثم توجت الدولة هذه المنزلة الرفيعة التى تبوأها الشافعىّ فى مصر وفى البلاد العربية وغير العربية ، وفى الهيئات الدولية ، فمنحته جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية .

وفى السادس عشر من أبريل سنة ست وثمانين ، قدم الأستاذ الدكتور أحمد عز الدين عبد الله الشافعىّ للمجمع ، هاهنا ، تقديما كريما شاملا استقيت منه ما لم أكن أعلمه عنه ، وكان الدكتور أحمد عز الدين زميلا له فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة ، فكان قَمِنًا بالدقة والإصابة حين تحدث عنه قائلا : «فوجدته شخصية واضحة لاخبئ عندها ، تتسم بالهدوء وطيب العشرة والأخوة ، والتواضع ، واحترام النفس واحترام الآخرين» .

وكان المجمع يعوّل على الشافعى فى أن يتابع الشوط وأن يستكمل ما بدأه الدكتور عبد الحكيم الرفاعى الذى كان قد وضع اللبنة الأولى فى المصطلح العلمى الاقتصادىّ - كما قال كبير المجمعيين الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور ، بعباراته البليغة الوجيزة .

ولكن لم يكد يمضى عامان حتى مرض الشافعىّ مَرْضَتَه الأخيرة فكاد يميتُها بالكتمان ، وكأنما أراد أن يأخذ زينته للقاء الله ، فتحلّى بالرضا والاحتساب وحسن التسليم ، ولم يَدَع العلة تتراءى فى وجهه فما انقبضت أساريره ولا ضاقت ابتسامته ، ولا قَلَّت حلاوة حديثه ، كما قال عنه الدكتور أحمد السعيد سليمان ، رحمهما الله جميعا .

ولكن الشافعى كان قد أخلص فى عمله وأمدَّ المجمع بنوع جديد من المصطلح الاقتصادى فيه من شمول الفكر ، وعمق الفلسفة ، والتعرض لمشكلات الخلائق أكثر مما فيه من حديث التكاليف والشحن

والمخازن ، كمـا قال عنه أحمد السـعيد ، هاهنا أيضا .

فقبل أن يغادر الشافعيُّ دنيا الفناء إلى عالم البـقاء ، كان قـد سجل فى مـجمع الخالـدين تاريخا مـشرفـا وعمـلا مجـيدا وأسلمنى الشـعلة متقـدة وضيـئة ، وإننى لأعاهدكم أمـام الله على أن أحافظ عليـها زاكـيةً مـضيـئة ، حـتى أسلمهـا إلى من يخلفنى حين يشاء الله .

أيها الحفل الكريم :

شكر الله لكم تفـضلكم بشهـود هذا الاجـتمـاع ، وكـريم إنصـاتكم لى . . .

وجزاكم الله خير الجزاء . . .

والسلام عليكم ورحمة الله .

عبد الحافظ حلمى محمد

عضو المجمع

كلمة المجمع
فى استقبال العضو الجديد الأستاذ
الدكتور عبد العزيز صالح
للأستاذ الدكتور محمود حافظ
عضو المجمع

سيدى العالم الجليل رئيس مجمع اللغة العربية وشيخ المجمعيين :

سادتى العلماء الأجلاء :

سيداتى وسادتى :

عندما حان وقت الترشيح لعضوية المجمع من بين علماء مصر البارزين لمع فى ذهنى اسم عالم جليل برز فى علوم الآثار والتاريخ القديم وأبلى فيهما أحسن البلاء حتى غدا بين العلماء المعاصرين له فى هذا المجال أرسخهم قدما وأعمقهم أثرا وأعلاهم منزلة وقدرا ، ذلكم هو العالم الموسوعى الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح ، العميد السابق لكلية الآثار بجامعة القاهرة الذى نستقبله اليوم عضوا بمجمع الخالدين .

ولا أحسبك أيها الزميل العزيز إلا سعيدا حقا بهذه الثقة الغالية التى منحك إياها زملاء لك هم صفوة من الجهابذة والعلماء ، يقدرون علمك وخبرتك ومكانتك ، هذه الثقة أفسحت لك مكانا عزيزا فى هذا المجمع العظيم كعبة العربية وحصنها الحصين الذى حمل لواءها أكثر من نصف قرن عاليا خفاقا نحو السماكين ، ورفع علمها شامخا سامقا فى الخافقين .

ولست فى حاجة إلى القول إن المكانة التى تنعم بها اليوم وأنت بها جدير لمكانة رفيعة حقا طالما اشرأبت إليها الأعناق وتطاولت الرؤوس ، وكثيرا ما هفت إليها قلوب وتطلعت إليها آمال فأهنئك تهنئة خالصة عضوا بين سدنة اللغة العربية وحماتها فى مجمع الخالدين .

ولد زميلنا فى الثالث عشر من مايو عام ١٩٢١ وقد نشأ بحى الخليفة بالقاهرة ذلك الحى الشعبى القديم الذى قامت فيه

آثار إسلامية كثيرة متميزة تقدمتها مساجد ومشاهد بعض السيدات من عترة الرسول الكريم ومنهن سكينة ورقية وعائشة ونفيسة وبعض آثار شخصيات أخرى مثل صلاح الدين وشجرة الدر وقايتباى وشيخون والسلطان حسن وكثير مما من شأنه أن يزكى فى النفوس روح التدين وعبق التاريخ وحب الفنون الإسلامية .

وبعد أن حفظ ماتيسر من سور القرآن الكريم فى كُتّاب الحى ومدرسته الأولية بدأ تلميذنا دراسته النظامية فى مدرسة بنبا قادن الابتدائية ، وكانت هى وسميتها بنبا قادن الثانوية ضمن خمس مدارس تتبع الخاصة الملكية وتحرص على تميز مستوى الدراسة فيها ، كما تنمى الاستعدادات الشخصية لتلاميذها - ونظرا لتفوقه الأدبى واللغوى فقد كوفئ تلميذنا حينذاك بعدة مؤلفات وجوائز .

وفى دراسته الجامعية تخرج فى قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ثم أكمل دراسته فى علم المصريات القديمة فى المعهد العالى للآثار بالجامعة نفسها - وتزامنت بعض دراساته لعلم المصريات القديمة مع دراسة أخرى لدبلوم التربية والعمل لبضع سنوات مدرسا فى التعليم العام ونشر أولى مقالاته فى عام ١٩٥٠ بعنوان " آثار شارع المعز لدين الله " . . حيث شبه هذا الشارع بسجل مفتوح سطرت على صفحاته عن يمين وعن شمال معالم مجد قديم جمع بين مطالب الدنيا ومطالب الدين وشهد بروعة الفن الإنشائى والزخرفى المصرى فى عصوره الإسلامية المتعاقبة - وتوالت بعد ذلك بحوثه ومقالاته منذ تعيينه مدرسا مساعدا بكلية الآداب بجامعة القاهرة فى عام ١٩٥٣ ثم أتم رسالته للدكتوراه عن " التربية والتعليم فى مصر القديمة " وأجيزت بتفوق فى يونيه عام ١٩٥٦ وقد نشرها باسمه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية فى عام ١٩٦٦ وكانت هى الرسالة الأولى الموسعة فى ميدانها العلمى بمصر والخارج بعد أن كان أغلب ما يستشهد به فى تاريخ التربية والتعليم فى العالم القديم يستقى عادة من تراث الإغريق والرومان والصين دون مصر وحضارتها التليدة إلا فى مقالات قصيرة متفرقة .

أصدر الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح ٤٦ كتابا وبحثا علميا منشورا فى مصر والخارج باللغتين العربية والإنجليزية فى مجالات التاريخ والتربية والتعليم واللغات والآداب والعقائد والفنون فى الحضارة المصرية والحضارات الشرقية القديمة - وقد اتسمت هذه الدراسات بأمانة الأداء والصدق العلمى وعمق التحليل واتساع الأفق كما عبرت عن مدرسة فكرية مصرية متميزة تنفذ إلى روح الحضارة المصرية القديمة وتكشف عن حقيقة جوهرها فيما تبحث فيه من تاريخها وخصائص عقائدها ولغتها وآدابها وفنونها مع عقد المقارنات الموضوعية بينها وبين واقع الحياة الفعلية فى البيئات والمجتمعات المصرية والشرقية استهدافا لما يربط بين حاضرها وماضيها .

وقد صَوَّبت هذه الدراسات ذات المنهج العلمى الواضح المتكامل عديدا من المفاهيم الأجنبية عن الحضارة المصرية القديمة وخرجت بنظريات وآراء جديدة موثقة عدلت بها بعض المسلمات التقليدية فى ميدانها كما قدمت بعض الحلول للمشكلات التاريخية المتعلقة بها .

والكشوف الأثرية العلمية التى أجراها الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح ذات أهمية بالغة فقد كان له دوره فى الكشف عام ١٩٥٥ عن برديات مصرية بمنطقة تونة الجبل بالمنيا تضمنت نصوصا ديموطية تضيف الجديد عن نظم المعاملات فى القانون المصرى القديم كما كشف فى هضبة الجيزة منذ عام ١٩٧٠ عن آثار حى سكنى صناعى لقطاع من الطبقة العاملة المتصلة بمعبد شعائر الهرم الثالث وقد تضمن هذا الكشف مصنعا للبردى يعتبر فريدا فى نوعه كما عبرت بقايا مساكن هذا الحى عن المستوى الاقتصادى والحرفى لأصحابها خلال القرن ٢٣ قبل الميلاد .

ومنذ عام ١٩٧٦ توالت بحوثه ودراساته العملية للكشف عن المعالم الحضارية الرئيسية لمدينة أونو القديمة (أى هليوبوليس وعين شمس) أولى المراكز الكبرى للفكر والثقافة الجامعة فى العالم القديم وكشف منها حتى الآن عن بقايا ١٤٠ وحدة سكنية وإدارية وصناعية لقطاع من الطبقة الوسطى الدينية والمدنية خلال القرنين ١٢-١١ قبل الميلاد كما كشف عن

بقايا ثلاثة معابد وحصن ملكى من عصر الرعامسة وكان لذلك كله صدى علمى كبير فى الأوساط الأثرية العالمية .

وتجاوز العطاء العلمى للدكتور صالح نطاق الحضارة المصرية القديمة فأصدر دراسات موسعة عن تاريخ وحضارة العراق وعن الحضارات العربية القديمة فى شبه الجزيرة العربية بشمالها وجنوبها وبخاصة فيما يتعلق بحياتها الاجتماعية والصلات اللغوية والثقافية بين مصر القديمة وبينها - كما ألقى الضوء عن وجود تأثيرات معمارية وفنية مصرية قديمة واضحة فى بعض المنشآت المعمارية للحيانيين والأنباط القدماء فى مدائن صالح بشمال الحجاز منذ القرن الخامس قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادى وذلك مما أرجع العلاقات الحضارية بين مصر وبينها إلى ما قبل بداية العصور الإسلامية بنحو ألف ومائتى عام وهو أمر له أهميته البالغة .

وللأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح نشاط كبير فى الكثيرمن الهيئات الأدبية والفكرية والثقافية على الصعيدين القومى والعربى وعلى الساحة الدولية فهو عضو بالمجلس القومى للثقافة وعضو فى شعب التعليم الجامعى والثقافة والعلوم الإنسانية والتراث الحضارى والأثرى بالمجالس القومية المتخصصة وعضو بالمجمع العلمى المصرى ونائب رئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ورئيس شعبة البرديات المصرية القديمة فى مركز الدراسات البردية بجامعة عين شمس ، وعضو لجنة الموسوعة الأفريقية للأعلام باليونسكو ، وعضو اللجنة التأسيسية للمؤتمرات الدولية لعلم المصريات كما أنه عضو فى جمعيات بريطانية وكندية وألمانية عالمية متخصصة فى الآثار وتاريخ الحضارة ، وقد حاضر وشارك فى عدة ندوات ومؤتمرات عقدت فى كمبردج ببريطانيا وجرينوبل بفرنسا وبرلين وتوبنجن ومونستر وميونيخ بألمانيا ومكسيكوسيتى بالمكسيك وتورنتو بكندا بالإضافة إلى بلاد عربية عديدة وبخاصة المملكة العربية السعودية التى رأس فيها أيضا قسم التاريخ بجامعتى الملك عبد العزيز والملك سعود .

وقـد عمل الأسـتاذ الدكـتور صـالح مقـررا للجنة مشروع مـعجم مـصطلحات الآثار فى التـعليم الـعالـى بمكتب تنسـيق التـعريب بالربـاط عام ١٩٨٦ كـما كـتب مجـموعـة من البحـوث المتـخصصـة فى قامـوس القرآن الكريم الـذى تنجزه حـاليا مؤسسة التقدم العلمى بالكويت .

وتكريما له وتقديرا لمكانته العلمـية فقد خصصت هيئـة الآثار المصرية العدد الخاص بعـام ١٩٨٦ فى مـجلة حوليـاتهـا الأثرية ليصدر باسمه .

وقد نال جائزة الدولة التشجـيعية لعام ١٩٦٢ ثم كرمـته الدولة أيضـا بنيل جائزة الدولة التقديرية لعام ١٩٨٦ .

سيدى الرئيس :

سادتى الزملاء :

هـذه لمحـة عن حـيـــاة هـذا العـالـم الموسـوعى الذى نسـتقـبله اليـوم فى هذا المحراب عضوا وزميلا بمجمع اللغة العربية مجمع الخالدين ، وهى كما ترون حياة زاخرة بالعطاء والعمل المثـمر البنـاء ، وإنى على يقين أنه بعلمه وخبرته ومكنته سيكون خير عون للمـجمع ليـمضى بقـيادته الرشـيدة وعلمائه الأعـلام فى مسيـرته الرائدة نحو إعلاء شأن العـربية ودفعها إلى آفـاق رحبة من التطور لتـواكب الإيقـاع السـريع الذى نشهده اليوم فى تقدم العلم والمعرفة .

والله ولى التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمـود حـافظ

عضو المجمع

كلمة العضو الجديد

الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح

فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

العالِم الجليلُ ، رئيسَ المجمع :

الزملاءُ الكرام ، أعضاءَ المجمع :

يشرفنى أن أتوجه بعظيم الحمد والإجلال ، ابتداءً ، لله العلى الحكيم ، أن أولانى ثقتكم الغالية ، حين تفضلتم مشكورين بانتخابى عضوا عاملا بمجمعكم الموقّر ، صَرْح اللغة العربية الشامخ ، الذى أحاط بأصولها العريقة ، وآدابها الوفيرة ، وعلومها الرائدة ، ومعاجمها المنوعة ، وبحوثها النامية ، مع مستويات الفكر العالمى المعاصر ، ومستحدثات التِّقْنيات والخبرات والمعارف .

ومع كل هذه المهام المنوطة بالمجمع ، والآمال المعقودة عليه ، وما تفضلتم بإنجازه منها مشكورين ، علماءَ المجمع ، كان طبيعياً أن يظل اللحاق بعضوية مجمعكم مطلباً عزيزاً ، وأملاً مرجواً ، لكل باحث مدقق ، فى علوم العربية وتراثها الكبير ، فضلاً عما تنهضون به من تعريب ألفاظ الحضارة ومصطلحات العلوم والفنون ، فى حاضرها المتنامى، وفى مستقبلها المنشود ، وهو ما نود الإسهام فيه بجهد متواضع ولكنه بأقصى الاستطاعة بمشيئة الله تعالى .

أما على المستوى الشخصى ، وما يتعلق بكرم المجمع والكلمة البليغة التى ألقيت اليوم فى استقبالى ، فلا أكاد أجد من عبارات التقدير اللائقة ما يفى بعميق امتنانى ، وجزيل شكرى للأخ العالم الفاضل ، الأستاذ الدكتور محمود حافظ، على فيض حديثه عن شخصى المتواضع ، ونبل مشاعره الكريمة فى تقديمه لى بصفاتٍ وسجايا ، هو الأولى بها ، وهو نِعْم القدوة فيها .

فله منى أخلص الثناء وصادق الوفاء.

السادة الأجلاء :

تقليد كريم من غير شك ، ما جرى عليه هذا المجمع الموقر ، مجمع

الخـــالدين" ، من تأكـــيـد صـلة الخلف بالـسلف من بـين أعـــضـــائه ، وتوثيـــق الروابط الروحية بين كل عـضو وزملائه ، وما يتـمثـله هذا وذاك من معـانى الوفاء ، والتآخى فى الآداب والعلوم والإنسانيات ، تحت مظلة لغـوية كبـيرة ، يتـعاون فـيهـا صفوة من أعلام مصر وبقية البلاد العربية، وبعض علماء الاسـتشراق الكبـار ، تعاوناً علمياً صافياً مثمراً .

وجـرياً على هذا التقـليد الحـميـد ، أشُرفُ اليـوم بحديث مُجـملٍ عن عَلَمٍ من أعـلام المجـمع الراحلين ، أُوليتُ شـرف خلافته فى كـرسيه العلمى بالمجمع ، وهو المغفور له الأسـتاذ الدكتور محـمد مرسى أحمـد . وقد أمضى رحـمه الله زُهاء ربع قرن فى عضوية هذا المجمع منذ أن استقبله الأسـتـاذ العـلامة مـصـطـفى نظـيف فى عام ١٩٦٢ ، إلى أن أبنّه وودعـــه باسمـه واسم المجـمـع كـذلك الأسـتـاذ الجـليـل الدكتـور محمـود مختـار فى نوفـمبر من عـام ١٩٨٩ .

وقد أشـادا بفضله فيـما نهض به من شئون التعليم والبحث العلمى ، والترجمة والتـأليف ، والإدارة الجامـعية ، ورئـاسة وزارة التعليم العالى .

وكان الدكـتور مرسى قد تميـز خلال دراسته الجامعية بنبوغه المبكر ، فبدأ مرحلة البكالوريوس فيها فى سن السادسة عشرة، وبعد أن اجتـازها بامتياز مـشرِّف أُوفد إلى جامـعة أدنبـرة التى أعفـته من التـحضـير لدرجة المـاجسـتير نظراً لتفوقـه ، ومنحته درجة الدكتوراه وهو فى الثالثة والعشرين ، وحصل بعـدها على دبلوم التـخصص فى البحوث الرياضـية من جامعة كـمبردج - وهكذا عاد إلى جامعـة فؤاد الأول مدرساً للرياضة البحتة فى عام ١٩٣٢ ، وبعد أن اجتاز درجـة الأستاذ المساعد أصـبح أستاذا لها قـبل أن يتخطى الخامسـة والثلاثين من عمـره .

ولعل مـتطلبـات هذا النضج الفكرى المبكر والمتكرر ، قد أضـنت جـسده نوعـاً مـا فناء بهـا لسنـوات طـوالٍ فى خـواتيم حياته ، رحمه الله رحمة واسعة .

ومن طـريـف مـا يـرويه عنه زمـيله الأستاذ الدكتور محمود مختار ، وهو صديقه الصدوق ، وصِنْوُه فى الدراسة والتخصص

والتعليم والبحث العلمى والسمعة الكريمة ، أن أستاذهما الكبير الدكتور على مصطفى مشرفة منحه فى أحد اختباراته الجامعية مائة وعشرين درجة من مائة درجة ، مبررا ذلك بأنه قد أجاب على أسئلةٍ أكثرَ مما يتطلبه الحد الأقصى للدرجة .

ولن ندعى معرفةً وافيةً بما تخصص فيه الأستاذ الدكتور مرسى من علوم الرياضيات ، ويكفى التنويه بما عرف عنه من الحرص على اتباع المنهج العلمى والتفكير الرياضى . وكان التفكير الرياضى وثيق الصلة فى حد ذاته بالفكر الفلسفى خلال العهود الزاهرة من العصور القديمة ذاتها .

وكان من ذلك أن روى الفيلسوف الأشهر أرسطو أنه حضر ذات مرة مع زملائه محاضرة لأستاذهم أفلاطون عن "الخير" وكانوا يتوقعون أن يسمعوا فيها جديدا عن الفضائل أو الأمور الفاضلة ، وإذا بهم قد استمعوا إلى فلكٍ وحساب ، وكلام عن الواحد والمحدود ، وإذا بهذا كله ينفذ إلى أعماقهم ويجعلهم يفكرون فى الخير من حيث لا يحتسبون .

وقيل إن أفلاطون أعلن على مدخل أكاديميته قوله : "من لم يكن رياضياً لا يدخل علينا" ، وفى ترجمة أخرى "من لم يكن مهندسا لا يدخل إلينا" .

ولم تكن الرياضيات تعنى عنده الحساب والفلكَ والهندسةَ بأغراضها العملية ، بقدر ما كانت تعنى جوهرها الثابت ، والنظر إلى العدد فى ذاته ، لا العدد المحسوس أو المادى .

وننتقل من هذه المجاملة للرياضيات والمهندسين إلى مجاملة أخرى لقدماء المصريين ، وهى أنه رغم تقدم علوم الرياضيات عند الإغريق عاب أفلاطون على أسلافهم أنهم كانوا أقل عناية بالحساب من المصريين . وذكر فى مؤلفه عن "القوانين" من الطرق المصرية لتعليمه ، ما يعتبر لو صحَّ خبره مفخرة للحضارة المصرية القديمة .

وأخيراً فلقد أثبت الأستاذ الدكتور محمد مرسى أحمد جدارة فى شتى المناصب الجامعية العليا التى أوليها عميداً لكلية العلوم بجامعة القاهرة ، وكيلاً لهذه الجامعة ، ومديراً لجامعة عين شمس ،

ورئيسا لجامعة القاهرة ، ووزيراً للتعليم العالى، ثم أمينا لاتحاد الجامعات العربية .

وكان من أوئل الداعين إلى إحياء التراث العلمى العربى ، وتعريب العلوم الحديثة ، وتعريب التعليم الجامعى ، ونشر الثقافة العلمية باللغة العربية ، كما كان من العاملين على توثيق الروابط بين علمائها وباحثيها عن طريق تبادل الصلات مع الجامعات العربية والأجنبية ، والاشتراك فى الندوات والمحافل العلمية ، وعضوية الجمعيات والمؤسسات الثقافية والمؤتمرات المتخصصة .

حضرات السيدات والسادة :

من المتفق عليه أن آفاق اللغة العربية مع ما اتصفت به من الرحابة والثراء ، والعمق والتنوع ، كثيراً ما يُستعان فى بعض مداخلها بما يناسبها من الدراسات التخصصية الأخرى .

ومن أقرب هذه الدراسات إلينا دراسات ألفاظ الحضارة ومصطلحات التاريخ والآثار بخاصة ، ثم الدراسات المقارنة بين اللغة العربية واللغة المصرية القديمة ، وبقاياها الدارجة فى المجتمع الشعبى المعاصر ، لا عن طريق المقارنات اللفظية للمفردات فحسب كما جرت عليه العادة حتى الآن ، وإنما كذلك عن طريق المقارنات بين قواعد اللغتين .

ومطلب آخر نود إنجازه باسم المجمع ، وهو إصدار معجم واف لمصطلحات الآثار فى صيغها الأجنبية والعربية . وقد سبق أن بذلت بعض الجهود فى مصر والمغرب لتحقيق هذا المطلب ، وشاركتُ فى بعضٍ منها ، إلا أنها لم تكتمل ، وتتطلب دفعات قوية لبعثها ، ونرجو أن نصل بها إلى حد الكفاية بمشيئة الله تعالى .

وشكرا لحضراتكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد العزيز صالح

عضو المجمع

استقبال أربعة أعضاء
لغـويين جـدد

فى الساعـة الحادية عـشرة من صـباح يوم الأربعـاء ٩ من ديسمبـر سنة ١٩٩٢م عقـد مجلس المجمع جلسة علنية لاستقبال الأعضـاء اللغويين الأربعـة الجـدد وهـم:

* الدكتور بدوى أحمد طبانة .
* الدكتور إبراهيم عبد الرازق البسيونى.
* الدكتور عبد السميع محمد أحمد .
* الأستاذ مصطفى عوضين حجازى .

وقد ألقى كلمة المجـمع فى هذا الحفل الأستاذ إبراهيم الترزى عـضو المجمع الذىٰ قام باستقبال الأعـضاء الأربعة الجدد معدّدا مـآثر كل واحد منهم فـى خدمـة العربيـة وآدابهـا . وبعـد أن فرغ الأسـتـاذ إبراهيم التـرزى من كلمـتـه تلاه العضـو الجـديد الأستاذ الدكـتور بدوى أحمد طبـانة فألقى كلمته .

ويعـد ذلك تحـدث العـضـو الجـديد الدكتور إبراهيم عبد الرازق البسيونى فألقى كلمـته . وتـلاه العـضو الجـديد الأستـاذ الدكتـور عبد السميع مـحمد أحمد فألقى كلمته .

وكانت آخـر كلمات الحـفل للعـضو الجـديـد الأسـتـاذ مـصطفى عـوضين حـجـازى .

وفيما يلى نص الكلمات :

كلمة المجمع

فى استقبال الأعضاء اللغويين
الأربعـة الجـدد
للأستاذ إبراهيم الترزى

عضو المجمع

أستاذى الجليل رئيس المجمع :

أيها السادة :

سلام الله عليكم ورحمـته وبركاته ،

وبعـد :

فقـد شرفنى زمـلائى أعضـاء المجمع الأجلاء باستقبال كَـوْكَبَةٍ دُرِّيَّةٍ من الأعضاء الجدد ، تنطلق باسم الـلهِ لتَدُورَ فى الفَلَك المجمعىّ ، كواكبَ وَضِيئةً مُضِيئة : وضَيِئةً بحبِّهم لغـةً اصطفاها الله لذكرِهِ الحكيم ، مُـضـيـئـةً بعطائهم الجـلـيـلِ لهـذه اللغـة المُصطفـــاة ، ومـــا نأمله منهــم من عطاءٍ مجمعىٍّ منشود ، نتطلَّع إليه ، ونُعَوِّلُ عليه ، بعون الله تعالى وتوفيقه .

أيها السادة :

رَحَلَ عن المجـمع أعضاء شـوامخ من علماء الفـصحى وشـيوخهـا ، كابِراً وراء كابر ، حتى تناقصَ عدد الأعضاء اللغويين ، فصاروا قِلَّةً تَنُوءُ بأعباءِ لجان المجمع ، بعد أن كانوا كـثرةً كـاثرةً ، ينهضـون بتَبِـعاتِ اللجـان اللغوية ، باذلين لهـا نشاطاً أَوْفَـرَ وأَوْفَى ، مع مشـاركةٍ فى اللجـان العلمـية لا تَزِيدُهم رَهَقا . ثم فاءَ الله على المجمع بمن نستقبلهم اليوم من مشيخة علماء اللغة .

الشيخ الدكتور إبراهيم عبد الرازق البسيونى :

أولُ هذه المشيخة اللغوية أقبلَ إلينا من أزهرنا الشـريف ، وهو الشـيخ الدكـتـور إبراهيم البسيونى . . سادِنٌ جليلٌ مِن سَدَنَة النحـو والصرف بالأزهر ، ومن أوتادهمـا الرَّواسِى ، عكَف عليهـما باحثًـا دارسا ، يُنقِّى وِرْدَهما الَمْورودَ مِنَ شَوائِبَ تراكمتْ فـيه على مـدى العصـور ؛ لِيعـودَ به إلى نَهْجِـه العربىِّ الأصـيل ، بعد أن غُمَّ هذا النهـجُ عـــلى الدارســين فى تـفـريعـات وتعقـيدات ، وتاهتْ مـعالُمه فى تعـليلاتٍ

زادتْـه عِلَّـة ، وتأويـلاتٍ زادتْـه ضَلَّـة ، وافتـراضاتٍ سقيـمةٍ عقيـمة ، أَوْغَلَتْ فى افتـراضاتِهـا حتى قـالوا : "خَرَقَ الـثوبُ المِسْمـارَ" ، فاخـترقوا بهـذا المثالِ حـاجزَ العقلِ والمـنطق ، واستبـاحُوا حِـمَى أعرق قاعـدةٍ نحوية ؛ وهى رفعُ الفـاعلِ ونصبُ المفعول ، بحجة وضوحهما !

وكم شَقِىَ النحـوُ كذلك حين أَبْحَرَتْ سفينتُه فى بحار المناطقة ، فتَقاذَفَتْها تياراتُ التـقديـراتِ وافتـراضِ العـوامل ، فكانت صـيحـةُ ابنِ مَضـاءٍ - فى القرن السـادس الهجـرىّ بالأندلس - صيحةَ إنقـاذٍ للنحو من ذلك كلِّه ، وقد أَطْلَقَ هذه الصيحَة منَ مـحْبِـسهـا بين رُكـام المخطوطاتِ أستـاذُنا الدكتور شوقى ضيف ، بتحقيقه كتابَ ابنِ مضاء : "الردّ على النحاة" .

فـالشـأنُ فى أىِّ قـانـونٍ أن يُوضَعَ للتطبـيق ، وكيف يُطَبَّقُ إذا اعتـراه تعقـيدٌ وغُموض ؟!

ولهـذا كانت القـوانينُ ضوابطَ واضحةً ليسهلَ تطبيقُـها فى المجتمعات والدُّوَل . . وأَولَى بالنحـو - وهو قـانون الكلام - أن يكونَ كـذلك ، ليـسـهـلَ تطبـيـقُـه على الكلمات والجُمَل .

ولهذا نهض الشيخ إبراهيم البـسيونىّ برسالةِ إحياء الدراساتِ النحويةِ فى الأزهر مع صفوة من علمائه ، فى طليعتهم شَيْخاه : محمد على النجار ، ومحمد محيى الدين عبـد الحميـد ، ثم زميله الدكـتور محـمد رفـعت فتح الله - وثلاثتُـهم من أعضـاء المجمع الراحلين - فلم يكونوا مجردَ سَدَنَةٍ لمـا كتبَه السابقون فى النحو ، وبخاصةٍ فى العصور المتأخرة ، حـيث دار أكثرُها حول مُتُـونٍ أخذ شارحوها فى تـفسير ألفـاظها وتحليـلهـا ، مُـوغلـين فى اسـتطرادات يستعـرضون بها قُدراتهِم اللغـوية والأدبيةَ والمنطقيـة ، فإذا بهم قد بَـعُدُوا عن منهل النحو الأصيل !

أخذ شيخنا إبراهيـم البسيونىّ مع هذه الصفـوة من نُحاة الأزهر يُعِيـدُ الدراساتِ النحـوية إلى شريعـتهـا ، فى نهجٍ علمىٍّ قـويم ، فهـو يرى أن التجـديدَ فى مناهج علوم اللغـة والنحـو يجب أن ينهض على الأُصول الثابتـة ، للغتِنا ، وألاَّ يخرج عن ضوابـطها العـامة فى نحـوها وصرفـها ، وذلك حـيث يقولُ فى كـتـابه "رحلة مع القـيـاس والسـماع" : "إذا أردنا إحـيـاءَ العربيةِ والمحافظةَ عليـها على أُسُسٍ سليمة

ثابتـة ، وإذا أردنا تيسيـراً للنحـو وتجديداً لمناهجه ، ووَضْع قواعدِه فى صورة حديثة تعتـمدُ المنهجَ العلمىَّ طريقـا ، فلا مناص من استـعراض الأُصول التى نـستمـدُّ منها قوانـينَ لغتنا ، ونَتـرسَّمُ هَدْيَها فى تطبـيق كلامنا ، ثم نُسَجِّلُ من جميعها الظواهر ، ونتخذُ من هذه الظواهرِ القواعدَ التى تربطُنا بقرآننا ، وتراثِنا الحضـارِّى الخالدِ فى جميع المجالات ، وأنواعِ المعارف والفنون" .

ثم يمضى الشيخ البسـيونى فى الدعوة إلى التجديد قائلا :

" وعلى ذلك نستطيع أن نُحدِّدَ موقفَنا من النـحـاة الـسـابقـين ؛ فـلا شـك أننا محتـاجون إلى النظر فيما اسـتخلصوه من قـواعـدَ لـنسـتـهـدى بـه ، ولا ريب أننا واجدون فى تراثهم الذى خـلَّفوه لنا نماذجَ عـاليـةً من الفكر الـرفـيع الواسع الأفق ، وسنجـدُ فيـه أيضاً مـالا يوافق عقليـتنا ، ونسـتطيع أن نفـيد من كـل ذلك باحتـذاء الصواب ، وتصحيح الخطأ ، وليس عيبهم أنهم أَلَّفوا وتعمَّقوا ، وأتوا بالغَثِّ والسمين ، ولكن عيبنا أننا تَحجَّرنا على ما وصَلَنَا من علومهم . وتَضـاءَلْنا أمام عقولهم الجـبارة وجهـودهم الرائعة ، وارتضـينا بالاتِّباع ، وجَنَحنَا إلى اجـترار مـا قَـرَّرُوه ، ونظرة "واحـدةٌ" إلى إنتاجنا فى الميدان اللغوىّ - خاصة فى النحو - تُثبت خمولَنا وتكاسلَنا من قـرون عـديدة . إن المحـافظـة عـلى مـاَ وَرَّثَه لنـا الأقـدمـون إنما تكون بـنشـره وإذاعته ، وتغذيتـه بعناصر جـديدة للحياة والنماء ، بالزيادة عليه ، ونفى مـا فيه من ضعف ، أمَّـا أن نُنَصِّبَـه هياكل ، ونـقومَ دونهـا سَـدَنَة ، فـإننا بذلـك نُمَكِّنُ له فى التجمد والتخلف ، وإذا بالركب يَمْضِى ، ويتـركـه حيث هو ، غـيـر عـابئٍ بنُواح النـائحين" !

والشيخ البسيونىّ لا يتوقف فى دعوته إلى التجديد عند حدود الدراسات النحوية والصرفيـة ، فهو يدعو كـذلك إلى تجديد متن اللغة ، وإثرائها بألفاظ مسـتحدثة تعبر عن حـضـارة العـصـر ، بـآدابه وعلومـه وفنونه، ومختـرعاته التى تَجِـدُّ يومًـا بعد يوم ، مادامت هذه الألفـاظ المستـحدثة لا تخـرج عن سَنَن العـربيـة ، وضـوابطهـا العامة ، فيقـول :

"الحياة نامية متجددة بما تشتمل عليه من أفكار وظواهر فى شتى النواحى الأدبية والفنية والعلمية ، من مصنوعات ومخترعات لم تعرض للعرب فى حياتهم الساذجة ، فليس هناك بُدٌّ من التجديد والابتكار وتوليد الألفاظ .. وإن الطعن فى قيمة كلمة بحجة أنها لم تُذكر فى المعاجم أو أن العرب لم تستعملها فيه تَحْجِيرٌ واسع ، وتجميد للغة من حيث يُراد لها النموُّ والثبات ، ولا بأس إذا تركنا لفظة عربية إلى أخرى مولَّدة ، إذا كانت الأخيرةُ أسهلَ وأخفَّ وأعذب ، ولنا فى العرب أنفسهم أسوة ، حين تركوا كثيرا من كلماتهم إلى أخرى أعجمية" . .

ولا يفوت شيخنا البسيونى أن ينوِّه فى كتابه هذا بقرارات المجمع فى تيسير بعض قواعد النحو وغير ذلك من شئون اللغة ، ويعلق على كثير من بحوث أعضائه .

وللشيخ البسيونىّ كتاب آخر فى النحو عنوانه: "النفى ومداخله فى كلام العرب" ، وله فى علم الصرف كتاب "المنهج الصرفى فى الإبدال والإعلام والتعريض والتقاء الساكنين والإدغام" ، واشترك مع الدكتور صبحى عبد الحميد فى تأليف كتاب "الهادى إلى تصريف الأفعال" .

وقد حَظِىَ "علمُ العروض" بالتفاتاتٍ من الشيخ عالج فيها بعض قضاياه .

ذلكم هو الشيخ إبراهيم البسيونى الذى صادَفَ يومُ مولده أن يكو مثلَ البارحة ، فقد ولد فى الثامن من ديسمبر فى العام الحادى عشر من هذا القرن ، بمدينة المحمودية فى محافظة البحيرة ، حيث تلقَّى تعليمه الأوَّلِىّ ، وحفظ القرآن الكريم ، ثم التحق بالأزهر الشريف ، فتلقَّى تعليمَه الابتدائىَّ والثانوىَّ بمعهد الإسكندرية ، وحصل على الثانوية الأزهرية عام خمسة وثلاثين ، ثم انتقل إلى القاهرة ليلتحقَ بكلية اللغة العربية ، وتخرَّج فيها بعد سنوات أربع ، واصَلَ بعدها تعليمَه فى الدراسات العليا ، فى قسم تخصص المادة ، بشعبة النحو والصرف ، فحصل على شهادة العالمية بدرجة أستاذ (وهى تعادل درجة الدكتوراه) ، وبعد سنوات سبع أمضاها مدرساً فى معهد شبين الكوم الدينى عاد إلى كلية اللغة العربية مدرسا ، ثم ترقَّى فى سُلَّم التدريس بها حتى حصل

على درجة أستاذ اللغويات . وفى الستينيات أعير إلى الجامعة الإسلامية بليبيا ، فأمضى بها ست سنوات عاد بعدها إلى القاهرة أستاذاً بكلية اللغة العربية ، ثم اختير وكيلاً لها سنة ثلاث وسبعين ، وبعد ثلاثة أعوام أُحيل إلى المعاش ، ليصبح أستاذًا متفرغاً بالكلية ، ورئيسًا لقسم اللغويات . وبحوثُ الدكتور الشيخ إبراهيم البسيونىّ أكثرُها غيرُ مطبوع ، ولعلَّ تلاميذه - وهم أساتذةٌ كُثر - ينهضون بطبعها ؛ ليفيد الباحثون من علم شيخهم الفَذّ ، الذى نهج لهم سُبُلَ تيسيرِ النحو ، وأخذ يُجَدِّد نسيجَ اللغة بيَدٍ حاذقةٍ صَنَاع !

الأستاذ الدكتور بدوى أحمد طبانة :

وثانى هذه المشيخة اللغوية أستاذى الدكتور بدوى طبانة ، وهو ذو نَسَبٍ عريقٍ فى علوم البلاغة العربية ، خَرَجَ علمُه مِن رَحِمِها ، فكان علمُه مِن أَبَرِّ أبنائِها ، انتماءً لأُصولها البيانية ، وولاءً لقِيَمِها الجماليةِ والفكرية . وبهذا الانتماءِ والولاءِ مضى علمُه البلاغىُّ يَشُقُّ آفاقَ النقدِ الأدبىّ ، قديمه وحديثِه ، ويُعالج قضاياه اللغويةَ والأدبية ، على نهجٍ علمىٍّ قويم ، قوامُه رَصْدُ الظواهرِ وإحصاؤها ، وتصنيفُها ، وتأثيرُها وتأثرها ، كاشفاً عما قد يكون بينها مِن وشائجَ ظاهرةٍ وباطنة .. ثم يأخذُ فى تفسير هذا كله ، وتحليله وتعليله .. منتهيًا إلى نتائج لا تلبثُ أن تُصبح لَبِناتٍ وَضّاءةً فى الصَّرْح الشامخ لعلوم البلاغة العربية!

وُلد الدكتور بدوى طبانة فى الثامن من سبتمبر عام أربعة عشر من هذا القرن ، فى ناحية "سِرْسِنا" بمدينة "الشهداء" فى محافظة المنوفية ، حيث حفظ القرآن الكريم ، وأمضى مرحلة الدراسة الابتدائية. ثم رحل إلى القاهرة . ليتلقَّى تعليمه الثانوى ، ثم التحق بتجهيزية دار العلوم ، التى أَهَّلَتْه للالتحاق بدار العلوم حيث تخرَّج فيها عام ثمانية وثلاثين .

وبعد ثلاث سنوات أمضاها مدرساً بالمرحلة الابتدائية بوزارة المعارف رحل إلى العراق ، للتدريس بدار المعلمين العالية ببغداد ، حيث عُهِدَ إليه بتدريس البلاغة العربية ،

كان عُمدةُ الدرسِ البلاغىٌ فى مصر كتاب "مِفتاح العلوم" للسَّكَّاكِىّ ، وشروح تلخيصِه ، وفى مقدمتها شرحُ السعد ، أما عمدةُ الدرس البلاغىٌ فى العراق فكان كتاب "الطِّراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز" ، لمؤلفه يحيى بن حمزة العلوى ،وهو أحد أئمة اليمن العلماء فى القرن الثامن الهجرى . وكان كتاب الطراز هذا هو الذى كُلِّفَ الشاب "بدوى طبانة" بتدريسه لطلاب دار المعلمين العالية ببغداد ، فعكف على دراسته وتدريسه ، مستغرقاً جهده فى استيعاب مادته ومسائله ، وما ورد بشأنها من آراء ، آخذاً نفسه بالرجوع إلى مصادرها فى العديد من المؤلفات البلاغية.

وبهذا العكوف على كتاب "الطراز" ومصادره البلاغية أخذ يَتَخلَّقُ مستقبلُ المدرسِ الشاب ، مُبَشِّرًا بميلاد باحثٍ بلاغىٍّ فَذّ ، أقبل على الدراسات البلاغية القديمة يَشُقُّ طريقًا لاحِبًا بين سُبُلِها الوَعرة المتداخلة!

كانت البلاغة العربية الجميلة قد اعتُقِلَت اعتقالاً غير جميل ، فى مُتونٍ شعريةٍ وغيرِ شعرية ، أَخَذَ شارِحُوها يَصولُون وَيَجُولُون فى حلبة الشروح اللفظية ، التى تَراكَم عَجاجُها حتى ناءَ به كاهِلُ الدرسِ البلاغىّ ، كما رُمِيَتْ علومُ البلاغةِ بعلمِ المنطقِ وعلمِ الكلام ، فَهَيْمَنا عليها طويلا ، حتى كادتْ تُصبح مجرداتٍ عقليةً فى كثير من أُصولها البيانية !

وهكذا واجه الشاب "بدوى طبانة" درس البلاغة ، الذى كان يقوم على أُصول وفروع ، وشروح متوارثة ، تَداخَل فيها كثير من العلوم ، وأخذتْ تَجْتَرُّ أحكامًا وشواهد ، غَشّاها ما غَشّاها مِن تكرارٍ وجمود ، حتى صارت تُعانِي غُربةً علميةً وأدبية ، في عصرٍ أخذ يَمُوجُ بحضارةٍ حديثة ، تَستنهضُ فيه روحَ التجديدِ والتقدم ، فى علومه وآدابه وفنونه !

ولهذا أخذ بعضُ الأساتذة الرُّواد يتطلَّعون إلى التماس نهجٍ علمىٍّ حديثٍ للبحث البلاغىّ ، يُطَهِّرُ البلاغةَ العربية مِن كل شوائبَ دخيلة ، ويُؤَهِّلُها للقدرة على التجديد والتقنين لِمَا استحدثَه الأُدباءُ المعاصرون مِن أساليبَ وفنون .

وإذا كان الدكتور بدوى طبانة قد سبَقه إلى معالجة البلاغةِ وتجديدِها أساتذةٌ رُوّاد ، منهم أحمد الشايب ، وأحمد ضيف ، وإبراهيم سلامة ، وأحمد حسن الزيات ، وأمين الخولى - فإن الدكتور طبانة قد تَفَّرد بينهم بأن جَعلَ معالجَة كلِّ قضايا البلاغة هَمَّه الأكبر ، وجعلَ مِن تجديدِها وتطويرِها غايتَه الكبرى ، فاستفرغَ جُهْدَه ووقتَه للبحث البلاغىِّ والنقدىّ ، وَوَقَفَ عليه نشاطَه العلمىَّ والتعليمىّ .

عاد من العراق إلى مصر بعد ستٍّ من السنين ، ليلتحقَ بقسم الدراسات العليا فى كلية دار العلوم ، ويحصل على الماجستير ثم الدكتوراه فى البلاغة والنقد الأدبى ، وَتَتابَع تَدَرُّجُه فى التدريس الجامعىِّ بكلية دار العلوم حتى وصل إلى درجة أستاذٍ لكرسىِّ البلاغةِ والنقدِ الأدبىِّ والأدبِ المُقارَن ، فرئيسٍ لهذا القسم ، ثم خَطَبَتْ علمَه جامعاتٌ عربية ، هى جامعةُ بغداد ، والجامعةُ الليبية ، وجامعةُ الإمام محمد بن سعود بالرياض ، فتخرَّج على يديه أفواج من أساتذة البلاغة والنقد الأدبىّ ، فى مصر والعالم العربى ، وقد عاد أخيراً إلى كليته (دار العلوم) أستاذاً غير متفرغ ، وعضواً فى مجلس إدارتها .

ذلكم الأستاذ الدكتور بدوى طبانة فارسُ البلاغةِ العربية ، الذى مازال - بحمد الله - يَشُدُّ قبضتَه القويةَ على لِوائهِا ، وظلَّ أكثرَ من نصف قرنٍ يبذلُ فى سبيلها كلَّ طاقاته ، فكان عَطاؤُه العلمىُّ والتعليمىُّ وافراً زاهرا ، عظيمَ الأثر فى إحياء البحث البلاغىّ ، وتأليف أقلام الباحثين حوله ، من تلاميذ : أساتذة البلاغةِ والنقد الأدبىّ، فى الجامعات العربية.

ومؤلفاتُ الدكتور بدوى طبانة غزيرةٌ متنوعة منها :

البيان العربىّ ، وعلم البيان ، ومعجم البلاغة العربية ، والتيارات المعاصرة فى النقد الأدبى ، ودراسات فى نقد الأدب العربى، وقدامة بن جعفر والنقد الأدبى ، وأبو هلال العسكرى ومقاييسه البلاغية والنقدية ، وقضايا النقد الأدبى ، والنقد الأدبى عند اليونان ، والسرقات الأدبية ، ونظرات فى أصول

الأدب والنقـــد ، ومـعلقـــات العـرب ، وفرسان الحلبة فى الشعر العراقى الحديث ، ومعروف الرصافى ، وأدب المرأة العراقية ، وطـلائع النهـضـة فى الشـعر الـسعـودى الحديث ، ودراسات نقـدية ، ومن شعراء العصـر ، والصاحب بن عباد ، وشـاعرية أحـمد مـحـرم ، والمثـل الســائر فى أدب الكاتب والـشـاعـر ، والفلك الـدائر على المثل الســائر ، ومـقـدمـة فى التـصـوف الإسـلامى .

ولـه تحـت الطبـع :

البلاغة الجـديدة ، ونظرات فى أصول الأدب والنقد ، وخـواطر إسلامـية . وإذا كـان المَقـامُ هنا لا يتِـيحُ أن نعـرضَ لهـذا الإنتاج الغزير المتنـوع ، فلا يَفُوتُنا أن نُنَوِّهَ ببعـض مؤلفاته الـفَذَّةِ فى علم البـلاغة ، بكتابُه "علم البيان" دَرَسَ فيه مباحثَ هذا العلم على نحـو جديد ، حيـث عالَج كلَّ مبـحثٍ فيه بدراســة تاريخية فنيـة نقدية ، مُوضِّحا أثَره فى الصِّياغة الأدبية .

وبعـد كـتابِه "علم الـبيـان" رأى أن يُرْدِفَه بكتابه "البيان العربىّ" الذى تَتَبَّعَ فيه علمَ البلاغة ، منذ نشأتِه فى رحاب القرآن الكريم ، للبـحث فى إعجـازه البيـانىّ ، حـتى اسـتقـامتْ لعلــم البلاغـةِ أُصـولُه وقواعدُه ، ثم مضى معه فى نموه وتطوره، على يد أعلامه النابهين إلى عصرنا الحديث ، عـارضاً مناهجَـهم فى البحث البـلاغىّ ، دارسًا مؤلفاتِهم ، مناقـشاً آراءَهم ، كاشفًا عن تأثرهم بمن سبـقهم ، وتأثيرِهم فـيمن لحـقهـم ، مُنَوِّهًا بما يكونُ لهم من تجـديد وتطوير فى الدراسات البلاغية .

والدكـتور بدوى طبـانة فى ذلك كله يتحـرَّى سلامةَ الَّنـصِّ الذى يعرض له في أوثق مصادرِه ، ويُقِيمُ مـيزانَه النقدىَّ على قـواعدَ أصـيلةٍ قـويمة ، ولا يتـوقفُ عن الإدلاء برأيه فى كل قـضيـة أو مذهب أو رأى ، فظهرتْ شخـصيتُه العلميـةُ المستقلةُ فى كل مؤلفاتِه بكل جَلاء ، فحين يُحدِّثنا عن العَلاّمة الفَذِّ عبدِ القاهرِ الجُرجانىِّ يقول:

"لعــــلَّ من الصـواب أن يُقــال إن عبـدَ القاهر واضعُ أُسس المنهج التـحليلىِّ فى دراسة الـبيان ، أو المعـانى العقـلية ، ومُسـايرةِ العبارات لهـا ودَلالتها عليـها .

ولعلَّ هذا القولَ أكـثرُ صدقاً وأكثـرُ تقريراً للواقع من القـوْل بأن عـبدَ القـاهر واضعُ

أساسِ علمِ البيـان ، أو واضعُ أساسِ علم المعانى بالمعنـى الاصطلاحىّ الذى لاَ يعرف الناسُ سواه ، وقـد رأينا أن عبـد القاهر ، وهو رجلُ المعنى والفكرِ والمنطقِ لم يَـتَخَلَّ عنه الذوقُ الأدبىُّ الذى يسيـرُ بالقارئ نحو تَلَمُّسِ صفاتِ الجمالِ فى العمل الأدبىّ" .

ثم يَرى أن كتـابَ "البديع" للخليـفةِ العبـاسىّ الشاعرِ العالمِ "ابنِ المُعْـتَزّ" أولُ كتابٍ فى البلاغة العربية بالمعنى الصحيح ، وأن كلمةَ "البديع" التى جَـعَلها ابنُ المعتزّ عنواناً لكتابه كـان مفهومُهـا عامًا عند أهل الأدب ، يَشْـمَلُ كلَّ مـا عُـرِفَ من فنون البلاغـة ، ويَستـدلُّ على ذلك بأن أولَ فنٍّ بحثَه ابنُ المعتزّ فى كتابه هو "الاستعارة" ، ثمَ بَحثَ فى التشبيـه والكناية ، وغيرِ ذلك من الفنون البـلاغيـة ، ثم يقّـررُ الدكتـور طبـانة أن البلاغـةَ لم تَعرف هذا التـقسـيمَ الذى انتـهتْ إليـه إلا فـى القـرن السـابع الهجرىّ ، على يَدِ أبى يعقوبَ السَّكّاكِىّ، صـاحِبٌ "مـفتـاحِ العلوم" حـيث جـعلَ البلاغـةَ علميْن ، هما عـلمُ المعانى وعلمُ البيان ، وجعلَ علمَ البديعِ تابعًا لهما .

ولاَ يَسَعُنِى قـبل أن أختتـمَ كلمتى فى تقديم أستاذى الدكـتور بدوى طبانة إلاّ أن أُشِيدَ بمعجمه الفريد "معجم البلاغة العربية" الذى أحْصَـى فيه فنـونَ البلاغة وأدواتِـها ومصطلحـاتِها ، والذى أَمْـضَى فى إعداده أكثـرَ من خمسة وعـشرين عامـا ، وأخذ يُضِـيفُ إلى كل طبعـة من طبعـاته الأربع العديدَ من موادِّه المعجمـيةِ البلاغية ، وإنَّ هذا العملَ الجليلَ الذى نَهَضَ به وحده لهو من أعمـال المجامع اللغـوية ، وهو جدير بأن يُفِـيد منه مـجمـعُنا فى لجانه اللغـوية ولجنة الأدب .

الأستاذ الدكتور عبد السميع محمد أحمد :

وثالثُ هذه المشيـخة اللغوية الأسـتاذُ الدكتور عِبد السميع محمد أحمد .. وهو شيخ أقـام فى رِباط "مدرسـة الألسن" ، التى أنشأها أولَ مـرةٍ رائدُ الثقافـةِ والتعليمِ بمصـر فى الـعـصـر الحـديث "رفـاعـة الطهطاوى" عامَ خـمسة وثلاثين وثمـانمئة وألف ، لتكونَ نافذةً تُطِلُّ منهـا مصرُ على أُوربا ، بعلومـهـا وآدابهـا وفنونهـا ، ثم أغلقتْـها يَدُ السلطةِ الغـاشمة الـغَشِيـمة ، فأَطْبَقَ عليها إهمالٌ ونسيان ، حتى صارت نَسْيًا مَنْسِيًا .

وعلى الرغم من افتتاح الجامعات ، جامعةً بعد جامعة ، حتى كادت تُغَطِّى أقاليمَ مصر ، ظلَّ التعليم العالى بحاجة إلى "مدرسة الألسن" فأطَلَّتْ فكرةُ إنشائها من جديد ، وأُعِيدَ إنشاؤُها فى العام الحادى والخمسين من هذا القرن .

وُلد الدكتور عبد السميع فى السادس من نوفمبر من سنة خمس عشرة وتسعمئة وألف . فى القاهرة ، حيث تلقَّى تعليمَه الابتدائىَّ والثانوىَّ بالأزهر الشريف ، ثم التحق بدار العلوم ، وتخرَّج عام أربعين ، ليشتغلَ بالتدريس فى بعض المدارس الابتدائية والثانوية . ولكنَّ رغبةً عميقةً فى نفسه أخذتْ تُنازِعهُ ، منذ تخرُّجِه فى دار العلوم لدراسةِ اللغات ، فالتحقَ بكلية الآداب بجامعةِ القاهرة ، وحصل على دبلوم اللغات الشرقية فى فرع اللغات السامية القديمة ، ثم نال شهادة الدكتوراه فى اللغة الجعزيَّة (الحبشية القديمة) .

وعُيِّنَ الدكتور عبد السميع مدرساً بمدرسة الألسن عام ستة وخمسين ، ومنذ عَمِلَ بها وهوُ يناضل حتى تَتَبَوَّأ مكانتَها اللائقةَ بها بين كليات التعليم الجامعىّ ، فقد كان المتخرجُ فيها لا يَحِقُّ له أن يتجاوز درجةَ الليسانس إلى الدراسات العليا ، التى تُتاحُ لنظيرِه فى الكليات الجامعية .

فكان على خرِّيج مدرسة الألسِن أن يلتحقَ من جديدٍ بكليةٍ جامعية ، تُتِيحُ له الالتحاقَ بالدراسات العليا ، للحصول على الماجستير والدكتوراه !

واختير الدكتور عبد السميع وكيلاً لمدرسة الألسن عام سبعة وستين ، وعميداً لها بعد عامين ، وهو لم يبرح حَلْبَةَ النضالِ من أجلها ، حتى أحْرَزَ النصرَ عامَ انتصارِ مصر - عام ١٩٧٣ - فعَبَر بمدرسةِ الألسن إلى حرم الجامعة ، فصارت إحدى كليات جامعة عين شمس . وتابَع عبورَه الجامعىّ ، فعَبَر بها مِن حَىِّ الزيتون إلى رحاب جامعة عين شمس ، حيث أنشأ لها مَبْنىً جديداً فريدا ، حَمَلَ لَمساتِه الفنيةَ التى تُعبر عن طابَعها العلمىِّ وتاريخِها العريق !

بهذا قَيَّضَ اللهُ تعالى لمدرسة الألسن عالِمَيْن جليليْن ، فكان لرفاعةَ فضلُ

الإنشاء ، ولعبدِ السميع فضلُ الإحياء ، حيث صارتْ كليةً جامعيةً مرموقة ، تُؤدى رسالَة مُنشئِها العظيم ، الذى أقام له الدكتور عبد السميع ندوةً علميةً باسمِ "ندوة رفاعة" ، وأعاد "غُرفةَ رفاعة" التى تُعنَى بترجمة الروائع الأجنبية من الآداب والعلوم ، كما أشرف على إصدار "صحيفة الألسن" التى تحفل ببحوث أساتذتها فى مختلف اللغات .

وها هوذا الدكتور عبد السميع لا يزالُ فى رِباط "كلية الألسن" - بعد إحالتِه إلى المعاش - أستاذًا متفرغا ورئيسًا لقسم اللغة الصينية بها .

وللدكتور عبد السميع بحوث عديدة متنوعة ، أجهدَنى تَتَبُّعُها فى مصادرها ، فمنها بحوث كثيرة ، لا مطبوعة ولا مجموعة - شأنُها فى ذلك شأنُ بحوثِ لشيخنا البسيونىّ - ومِن حقِّ هذه البحوثِ القَيِّمةِ عليهما أن يُطْلِقَا سَراحَها ، فتخرج إلى الناس حتى يفيد منها الباحثون !

ومن البحوث المطبوعة للدكتور عبد السميع مؤلفه الكبير "قوانين الملوك" وهو دراسة مقارنة باللغتين العربية والجعزيّة (الحبشية القديمة) ، أثبت فيها بالأدلة / القاطعة أن هذا الكتاب الذى يُعَدُّ الكتابَ التشريعىَّ الكَنَسِىَّ للكنيستيْن : المصرية والإثيوبية قد اقتبس مؤلفُه "ابنُ العَسّال" الكثيرَ من أحكام الفقه الإسلامىّ ، فقد كان "ابن العسال" - وهو مسيحىٌّ مصرىّ - أحدَ الكتاب البارزين فى الدولة الأيوبية بمصر ، فى القرن السابع الهجرىّ . ثم كتب الدكتور عبد السميع بَحْثَيْه : "الهبة فى القانون الإثيوبى" و "الوديعة فى القانون الإثيوبى" مؤيدًا بهما ما جاء فى كتاب "قوانين الملوك" .

وللدكتور عبد السميع بحثٌ فى "تعليم اللغة العربية غيرَ الناطقين بها" ، وبحوثٌ فى أُمَّهات المراجع التاريخيّة ، فى السيرة النبوية لابن هشام ، وتاريخ الأمم والملوك للطبرى ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير ، وتاريخ ابن خلدون ، وتاريخ العلماء والرُّواة فى الأندلس لابن الفَرَضِىّ ، وغيرُ ذلك من البحوث .

وأختتمُ حديثى عن مؤلفات الدكتور عبد السميع بالتنويه بكتابة القيِّم "المعاجم العربية" ، وهو دراسة تحليلية تاريخية ،

تُبرز الخصائصَ اللغويةَ لثلاثةَ عشرَ معجما ، بدءًا بمعجم "العين" للخليل بن أحمد ، وانتهاءً بالمعجم الكبير والمعجم الوسيط ، اللذيْن أخرجهما مجمعُنا . وقد أشاد الدكتور عبد السميع بجهود المجمع المُعجمية ، بعد دراسةٍ ضافيةٍ لهذيْن المعجمين ، منهجًا ومادة ، وقال فى المعجم الكبير :

"إن محاولة إظهار "المعجم الكبير" التى يُقدم عليها المجمعُ اللغوىّ بالقاهرة تستحق التقدير العظيم ، وينتظر الحريصون على اللغة العربية أن تجتمع الجهود وتتضافر حتى يتوالَى ظهور أقسامه ، واحدًا بعد آخر ، وليس من المنتظر أن يُعاصر الجيل الحاضر تمامَ هذا العمل ، فإن اللبناتِ التى تُوضَع الآن فى البناء ستحفز الأبناءَ إلى إتمام تشييده" .

ثم يقول : "واهتمام المعجم بتوضيح صلة اللغة العربية بأخواتها الساميات جدير بأن يضعه فى مكانة لم يُسبق بها ، وينبغى ألاَّ يضنَّ المجمع بمزيد من إيضاح هذه الصلة" .

ثم يختتم حديثه عن المعجم الكبير بقوله : "وطبيعىٌّ أن المعجم يستمدُّ مادتَه بما سبقه من كتب اللغويين ، وما سُجِّلَ من ثروة يصعب أن يُحاط بما هو موجود منها الآن ، ويتعذر بطريقٍ أولَى ، أن يَحْدُسَ ما ضاع من كنوز عَدَا عليها الزمن ولعَّل شيئا من هذا يجعل إصدار معجم تاريخىّ للغة العربية مهمة شاقة تحتاج إلى توزيع الأعباء ، و "تكليف" القادرين على أن يُسهموا فى إعداده فى إطار نَظِيم" .

ويسعدنى أن أقول للدكتور عبد السميع : إن لجنة المعجم الكبير بالمجمع تتطلعُ إلى انضمامه إليها ، لِتُفِيدَ من خبرته المُعجمية ، وتَشُدَّ جهودُه أزْرَ جهودِ أعضائها وخبرائها ومُحَرِّريها ؛ لإخراجِ أوْفَى معجمٍ فى تاريخ العربية .

الأستاذ مصطفى حجازى :

وآخِرُ المشيـخةِ اللغويةِ التى نستـقبلها اليوم صـديق حميم ، وزمـيل كريم ، هو الأستاذ مصطفى حجازى . . رفيقى القديم على درب المعجم الكبـير . . قَيَّضَ الله لنا أن ندخلَ المجمع معًا فى يوم واحد . . ثمَ قَّيضَ لنا أن نكون معًا فـى عملنا المَجمعىِّ المُعجـمىّ . . حيث كان "المعجم الكبـير" يَتخلَّقُ فى رَحِمِ لجنتِه الكبرى ، التى كانت تَضُمُّ مشـيخةً جليلة من أعـلام العلماء فى اللغة العـربية واللغات الشرقـية والأدب ، والفلسفـة والاقتصاد والقانون والـشريعة ، ومختـلف العلوم الطبيـعية ، فكـان عملُنا المُعـجمىُّ البـاكرُ مـع هذه اللجنة مدرسـةً معـجمـيةً تَعلَّمنا فـيهـا الكثيـر ، وكانت محـاوراتهم الفَذَّةُ تكشف لنا آفاقًـا جديدةً عَـديدة ، من العلوم والآداب والـفنون ، تَزِيدُ "المعجم الكبير" نَماءً وثَراء ، وتجعلُه المعجم الأكـبرِ للأمة العربية ، فـى عصرنا الحـاضر !

كنتُ ومـصطفى نَدِيَىْ لغـةٍ وأدب ، على مائدةِ "المعجم الكبير" ، نَتعاطَى ما فى بطون مـعاجم اللغـة مِن فَرائد ، ومـا فى دواوين الشـعـر مِن شَـواهد ، نُرْفِـدُ بهـا معجَمنا الكبير ، فقد كُنّا زميلَيْن فى إعداد موادِّه ، ثم زمـيلَيْن فى مراجعة مـا يُعِدُّ ، الزملاءُ مِن مُحَرِّرِى المعـجم . وأشهد لقد وجدتُ مصطفى حاذقًا بالصناعة المعجمية، فليس كلُّ عـالمٍ باللغة أو النحـو والصرفِ معـجمـيًا ، فالمُعـجمىُّ رَحّـالةٌ لُغَوِىٌّ إلى مختلف مصادر المعرفة ، من معاجمِ أعلام وبُلدانٍ وحيوان ، وأدبٍ وتاريخٍ وحضارة، ومصطلحـاتٍ علميـةً وفنية . . فـالصناعةُ المُعجمية . . إذا كانت تقتضى علمًا واسعًا باللغة والنحو والصرف واللهجات ، فإنها تقتضى كذلك ثقافةً موسوعيةً بسائر العلوم والآداب والفنون .

ولد مصطفى فى العاشر من يناير سنة ثلاث وعشرين وتسعـمئة وألف ، فى قرية "برمبال" الجـديدة ، بمحـافظة الدقهلية ، وهى قـرية رائد التعـليم الحديث فى مصر « على مبارك » الذى يَضْـرِبُ إليه مصطفى بِعِـرْقِ خُـؤُولَة . وتلقَّـى تعليـمـه الأولىَّ بمدرسة القرية ، حيث حفظ القرآن الكريم

وجَوَّدَه برواية حفص عن عاصم ، فتَهَّيأ بذلك للالتحاق بالأزهر الشريف طالبًا بمعهد دمياطَ الابتدائى ، ثم انتقل إلى معهد الزقازيق ليحصلَ منه على شهادة الثانوية ، التى أهَّلَتْه لدخول كلية دار العلوم ، حيث تخَّرج فيها عام خمسين ، وحصل فى العام التالى على دبلوم فى التربية وعلم النفس من المعهد العالى للمعلمين .

وبعد اشتغالٍ بالتدريس نحو سنوات عشر فى المرحلتين الإعدادية والثانوية ، انتقل إلى العمل بالمجمع محرراً بالمعجم الكبير ، وتدَّرج فيه حتى صار مديرًا عامًا للمعجمات وإحياء التراث .

وأعير عام ستة وسبعين إلى جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ، فشارك فى إنشاء "مركز البحث العلمىّ وإحياء التراث" ، ثم عاد بعد عام إلى المجمع ، وفى عام اثنين وثمانين أنْهَى عملَه المجمعىّ ليبدأ عملَه فى الكويت ، رئيسًا لقسم التراث العربىّ بوزارة الإعلام .

ثم عاد إلى القاهرة عام ثمانية وثمانين حيث عمل خبيرًا بالمجمع فى "المعجم الكبير" ، وعضوًا فى لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للثقافة .

وإنى إذ أُحدثكم اليوم عن مصطفى فحديثى حديثُ صديقٍ خبير ، وليس فى الناس أصدقُ حديثًا عن المرء مِمَّنْ أُتِيح له أن يَطَّلِعَ على خبايا نفسه ، ولا يُتاحُ هذا إلاّ لصديق . . وليس فى الناس أعرفُ بالمرء من صديقٍ لازَمه فى سَرّائه وضَرّائه، وزامَلَه فى عمله وعلمه ، فسَبَره وخَبَره ، ولا يُنَبِّئُكَ مثلُ خبير !

لقد جَمَّلَ الله مصطفى بخِلالٍ حميدة ، يطولُ فيها الحديث ، ولكنَّ خَلَّةً واحدةً تَبْرُزُ سامقة ، تَمُدُّ ظلالَها على سائر خِلالِه ، وهى خَلَّةُ "الأناة" . . فكلُّ خُلُقٍ فيه يتَّسِمُ بالأناة ، والأناةُ تُنْضِجُ السلوكَ فإذا هو سَوِىٌّ رَضِىّ ؛ فهو لا يَجْبَهُكَ بموقفٍ يُوقِعُكَ فى حَيْرة ، ولا يَبْدَهُكَ بأمرٍ يأخذُك على غِرَّة . . فأنت معه فى أمانٍ من نفسه ، ومن نفسك . . فى أمان من نفسه لأنك معه تَنْعَمُ بالطمأنينة ، وفى أمان من نفسك لأنها معه تَخْلُدُ إلي السكينة . . وصفةُ "الأناة" قد تَغلغلتْ فى جَوانح نفسه ، حتى ظَهرتْ فى جَوارِحِ جسدِه ؛ فهو

يأخذُ كلَّ شيءٍ ويَبدعُه فى هَوادة ورَويَّة ، يتحركُ على مَهَل ، ويَمشِى الهُوَيْنَى ، ويتَحدَّثُ فى تُؤَدة ، بل إن ملامحَ وجهه تُعَبِّرُ عن انفعاله فى رِفق ، فلا تُسْتَفَزُّ ملامحُه باختلاجةِ غضب ، ولا تكفهِرُّ ولا تَزْوَرّ ، فهو هادئٌ صبُور . . وقد أهلّتْه أناته إلى أن يَلِجَ عالمَ اللغة العربية بخُطًى مطمئنّة ، وأن يَتعرَّف تُراثَها فى مُثابرة ومُصابرة ، ويَعرُكَ معاجمَها "القديمة حتى لانَتْ عريكتُها له ، فصارت له باللغة صلةٌ حَميمة ، غريبُها لَدَيْه مَألُوف ، وبَعيدُها منه قريب ، فكأنَّ بعقله جهازَ استشعارٍ لغوىّ ؛ فهو يُدْرِكُ أين تكْمُنُ المادةُ اللغويةُ فى بطون المعاجم ، وأين يُسْتَدْعَى الشاهدُ من دواوين الشعراء . . وقد جعلَه ذلك كلُّه يُقْبِلُ على تحقيق نفائسِ من المخطوطات العربية إقبالَ الواثقِ الخبير ، فحقّق كتاب "بهجة الزمن فى تاريخ اليمن" لابن عبد المجيد اليمانىّ ، وكتاب "المنازل والديار" لأسامة بن منقذ ، والجزء الأخير من كتاب "نهاية الأرب" للنويرى ، كما شارك فى تحقيق أجزاء عديدة من معجم "تاج العروس" للزَّبيدىّ ، الذى تُصدره وزارة الإعلام بالكويت ، وحقق الجزء العاشر من "المحكم" لابن سِيدَه ، وراجع كتاب "خَلْق الإنسان فى اللغة" للحسن بن محمد بن أحمد ، الذى حققه الدكتور أحمد خان ، بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

وقد أتاح له علمهُ باللغة الفارسية أن يؤلف كتابيْن : أولهما "صفحات عن إيران" ، بالاشتراك مع الأستاذ صادق نشأت ، والآخر "الدروس العربية لتلاميذ المدارس الإيرانية" .

وفى مجال النشاط المجمعىّ أشرف على إصدار الجزء الثانى من المعجم الكبير ، والمعجم الوجيز الذى قدَّمه فى طبعته الأولى بمقدمة ضافية ، وخَلَفَ المرحوم الأستاذ عبد السلام هارون فى الإشراف على طبع معجم ألفاظ القرآن الكريم . . وشارك المرحوم الأستاذ محمد شوقى أمين – عضو المجمع الراحل – فى إصدار الجزء الأول من كتاب "الألفاظ والأساليب" ، والجزءين : الثانى والثالث من كتاب "فى أصول اللغة" ، كما أشرف على العديد من كتب التراث اللغوى التى صدرت عن

المجمع ، وعلى إعداد فهارس لديوان الأدب للفارابىّ ، وفهارس لكتاب الجيم لأبى عمرو الشيبانىّ . وحقق للمجمع الجزءين : الأول والثانى لكلٍّ من كتاب "التنبيه والإيضاح المعروف بحواشى ابن بَرِّىّ على الصِّحاح" ، وكتاب "التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة "للزَّبِيدىّ" . كما حقق كتاب "الشوارد" للصاغانىّ ، وقد نَوَّه المرحوم الأستاذ على النجدى ناصف - عضو المجمع الراحل - بتحقيقه كتابَ التنبيه والإيضاح ، حيث قال فى تصديره لهذا الكتاب :

"وقد نهض بتحقيق" حواشى ابن بَرِّىّ" الأستاذ مصطفى حجازى ، وهو لغوىٌّ متمرِّن ، يصحب اللغة ، ويُكِبُّ على النظر فيها ، درساً وبحثا ، وإعداداً وإشرافًا ، وقد آتَى الحواشىَ من جهده وخبرته كلَّ ما تقتضيه دواعى الإجادة والإتقان ، تحريراً للنص وضبطًا لمفرداته ، وتخريجًا لشواهده ، فى تتبع لا قصور معه ولا اكتفاء" .

كما نَوَّه المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام - نائب رئيس المجمع الراحل - بتحقيقه كتابَ "التكملة والذيل والصلة" ، فقال فى تصديره له :

"ومن حسنات المحقق أنه شرح - فى دقته المعهودة - منهج المصنف وفضلُه فى هذا الشرح أنه لم يجده مفصلا فى مقدمة المؤلف ، بل استخلصه من متابعة ما استدركه المصنف على القاموس" .

"أما المقارنة التى تخللت العمل ، بين منهجه وأسلوبه هنا ، وبين المنهج والأسلوب الذى كان المصنف قد اتبعه فى كتابه "تاج العروس" فتتجلَّى فى دقتها "شِنْشِنَةٌ حجازيَّة" - إذا ساغ لى أن اصطنع هذا التعبير ، بعد خبرة طويلة ، وممارسة متواصلة ، للعمل السعيد الذى كان من حظى أن اشترك فيه مع هذا الزميل الكريم فى مجال التحقيق اللغوى" .

أما كتاب "الشوارد" الذى نال به الأستاذ مصطفى حجازى جائزةَ الدولة التشجيعيّة فى تحقيق التراث عام خمسة وثمانين ، فقد جاء فى تصديره قول

المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام :

"ومن الإنصاف ألاَّ أترك هذا التصدير دون أن أذكر قليلا من فضل محقق هذا الكتاب : الأستاذ مصطفى حجازى . لقد سعدتُ بلقائه والعمل معه فى مجال اللغة ، فى مجمع اللغة العربية ، قرابة ربع قرن ، فوجدتُه واحداً من أقلَّ القليلِ الثِّقات فى اللغة ، الذين تتدفق معارفهم الوثيقة على أطراف ألسنتهم" !

أيها السادة :

هذه هى الكَوْكَبةُ الدُّرِّيَّةُ اللغويةُ من الأعضاء الجُدُد ، الذين أشرف اليوم باستقبالهم ، وكلٌّ منهم نابِهٌ نابِغ فى فرع تخصصه العلمىّ ، ولكنَّ فروعَ تخصصاتِهم تَخْرُجُ كلُّها مِن أُرُومةٍ واحدة، هى لغتنا العربية . . فالاختلافُ هنا إلى ائتلاف ، والتَّنوُّعُ إلى تَجَمُّع ، والتَّعَدُّدُ إلى تَوحُّد ، وبهذا كله يتحققُ التكاملُ للعملِ المجمعىّ ، الذى نأملُ من الزملاء الجُدُد أن يُخْلِصُوا له قلوبَهم ، ويَخْلُصُوا له بكلِّ ما لديهم مِن علم ، وما فى طاقاتهم مِن عمل !

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إبراهيم الترزى

عضو المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور إبراهيم البسيونى

فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

السيد الرئيس

السادة العلماء الأجلاء

تحية من عند الله مباركة طيبة وبعد

فإنه لشرف عظيم لى أن يقع اختياركم علىّ لأكون بينكم وواحدا منكم ، فالذى تختارونه معكم تطول قامته ، وترتفع هامته ، وكأنى بكم أيها السادة أردتم أن تكرموا رجلا عاش مع لغة الضاد قرابة خمسين عاما فى مواقع مختلفة تدريسا وإشرافا وإدارة .. فى الأزهر جامعا وجامعة ، وفى الصحافة تصحيحا ومراجعة ، فى داخل مصر وخارج مصر .. صحيح أننى نلت على امتداد حياتى تلك تقديرا كبيرا من الأجهزة التى عملت معها ، لكن اختيارى عضوا فى مجمع اللغة العربية هو واسطة العقد كما يقولون، وأرفع وسام يزدان به صدرى ، ويجمّل كل ما فات ، ويتألق به ما هو آت . ذلك بأنكم قادة الفكر ، ورواد المعرفة من كل لون ، وحماة الفصحى التى هى أشرف اللغات ، وأوسعها دائرة وأغزرها مادة ، إنكم تزينونها ببحوثكم القيمة ، وما تجيزونه من تعبيرات ، وما تثبتون من ألفاظ الحضارة وبهذا تذللون عَصِيَّها وتطوعونها لمقتضيات العصر ، وتيسرونها للقارئين والدارسين والكاتبين ، دون أن تنزلوا بها عن مستواها ، ولا أن تنالوا من الصرح الشامخ الذى أقامه الأئمة من أهل التراث .. فكيف بالله لا يَشرف مع كل هذا من تختارونه عضوا معكم ولا يعظم شأنه فى الناس .. شكر الله لكم ، وبارك عليكم وسدد على طريق العلم والمعرفة خطاكم ، وأسأله تعالى أن يوفقنى ويعيننى على أداء واجبى نحو المجمع ورسالته لأكون عند حسن ظنكم وأهلا لهذه الثقة الغالية .

أيها السادة :

شاءت إرادة المولى جل وعلا أن أشغل مكان الأستاذ الدكتور تمام حسان . . والحق أن خلو المكان من هذا العالم الجليل يعد خسارة كبيرة ؛ نظرا لتمكنه وتعدد مواهبه، فبعد أن ظفر بدبلوم دار العلوم فى سنة ١٩٤٣ حصل على إجازة التدريس فى سنة ١٩٤٥، ثم أوفد فى بعثة إلى انجلترا للتخصص فى علم اللغة ونال الماجستير فى سنة ١٩٤٩ ، ثم حصل على الدكتوراه فى سنة ١٩٥٢ ، وعاد إلى مصر ليعمل مدرسا بقسم فقه اللغة بكلية دار العلوم .

وفى سنة ١٩٦١ ندب مستشارا ثقافيا بسفارة مصر فى لاجوس بنيجيريا ، وأنشأ صلات طيبة بين جامعات مصر وجامعاتهم . . وفى سنة ١٩٦٢ عاد إلى مصر وعين أستاذا للنحو والصرف والعروض فى كلية دار العلوم ، ووكيلا لها . . وفى سنة ١٩٧٢ عين عميدا لهذه الكلية وأنشأ الجمعية اللغوية المصرية وانتخب أول رئيس لها ، ثم أعير إلى جامعة محمد الخامس بالمغرب ، وظل هناك إلى عام ١٩٧٩م .

وجدير بالذكر أن الدكتور تمام كان مع علمه الفياض ، وطنيا يمتلىء قلبه بحب الوطن وحماسة الشباب ، ففى حرب ١٩٥٦ تطوع للقتال فى صفوف المحاربين لدحر العدوان الثلاثى ، على الرغم من أنه كان على أبواب الكهولة وأصر على ذلك إصرارا حازما جعل المسئولين عن المعركة يقبلون تطوعه ويبوادر المشيب قد وخطت عارضيه .

وفى مجال البحث العلمى نتاجه موفور فقد ألف أربعة كتب هى : مناهج البحث فى اللغة ، واللغة بين المعيارية والوصفية ، واللغة العربية معناها ومبناها، وكتاب بعنوان الأصول . . كما ترجم عدة كتب أخرى من الإنجليزية إلى العربية . . وله بحث ممتاز نشر بمجلة الكلية بعنوان : منهج نحاة العرب ، وبحث آخر نشر بإحدى مجلات المجمع عنوانه «من طرق القرآن الكريم» وهو بحث جامع لفنون التعبير القرآنى من وجهتى اللغة أو البلاغة.

جزاه الله خيرا على ما بذل للعلم والوطن من جهد مشكور ، ومد فى عمره وأعانه

وهو يؤدى فريضة الثقافة والمعرفة فى بلاد المسلمين .

وتبقى كلمة شكر وعرفان للأديب الأريب صاحب القلم الرشيق ، والعبارة الشائقة ، الذى يحمل روحا طيبة ، ونفسا مخلصة ، وأدبا جما ، وعلما نافعا

الأستاذ الفاضل إبراهيم الترزى ، عضو المجمع ورئيس تحرير مجلته .. نشكره على تفضله بكل ما قال ، من بديع المقال ، فى كلمة الاستقبال ، والله من وراء القصد ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الأستاذ الدكتور بدوى طبانة

فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

سيدى الرئيس الجليل

سادتى العلماء الأجلاء أعضاء مجمع الخالدين .

سيداتى وسادتى شهود هذا الحفل الكريم .

أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، له الحمد فى الأولى والآخرة ، له الحكم وإليه المرجع والمآب .

وأصلى وأسلم على من اصطفاه ربّه هاديًا ومبشرًا ونذيرا ، لينقذ البشرية من جهالتها العمياء ويقودها إلى المحجة البيضاء ، إلى صراط الله العزيز الحميد ، وأنزل عليه ذكرًا حكيما ، وقرآنا كريما ، بلسان عربى مبين ، وعلى آله الأطهار ، وصحابته الأبرار ، ومن تبعهم من المهتدين الهداة ، الذين آمنوا بالحق وكانوا له من الدعاة .

ونسأل الله تعالى أن يفتح لنا أبواب رحمته ونحن نلج هذا المحراب ، ويسر لنا صادق القول وصالح العمل ، لنلحق بركب الناجين من عباد الله الصالحين .

سيدى الرئيس الجليل

سادتى العلماء الأجلاء فى مجمع الخالدين .

عجب أن يعيا اللسان ، ويعجز البيان فى هذا اليوم المشهود الذى تستقبلوننى فيه ، وأحاول أن أعبر عن شكرى لكم واعترافى بعظمة صنيعكم ، وعرفانى بجميلكم ، وقد يزداد العجب إذا كان العىّ والحصر من رجل صناعته المحاضرة والمذاكرة والمحاورة ، أفنى فيها زهرة حياته .

والحقيقة أن الشكر الذى أحاول أن أرجيه إليكم ليس ألفاظا أو أجراس حروف تلوكها الأفواه ، وإنما هو تعبير عن مشاعر

تعتلج فى الصدر ، وعواطف يفيض بها القلب ، وأحاسيس تضطرب فى أعماق النفس ، ولا تقوى على الصعود إلى عذبات اللسان ، فما أعظم ما حبوتمونى من فضل ، وما أوليتمونى من ثقة توّجتم بها سعيى فى خدمة العلم ، وألتحتم لى بها هذا المقام المحمود بينكم لأكون حبة فى هذا العقد الفريد من سدنة اللغة العربية ، وهى ثقة أعتدّ بها ، وأعدها أسمى من كل منصب ، وأكبر من كل جائزة ، وأرفع من كل وسام ، لصدورها عن تلك النفوس الزكية ، والقلوب الكبيرة ، والعقول الواعية التى أودعها الله كنوز الحكمة ، وقطوف المعرفة النافعة .

وأسأل الله أن أكون أهلاً لها ، وأن يقدرنى على شكرها ، فإن من تمام نعمة الله على عبده أن ييسر له سبيل شكرها ، فإن شكر النعمة نعمة تضاف إلى نعمة :

إذا كان شكرى نعمة الله نعمةً
علىّ له فى مثلها يجب الشكرُ
فكيف بلوغُ الشكر إلا بفضله
وإنْ طالت الأيامُ واتصل العمرُ

وشكر المنعم سبحانه بلزوم طاعته ، وشكركم أيها السّادة لا يكون إلا بالعمل الدائب والجد الموصول فى خدمة الأهداف الشريفة التى تجردتم لخدمتها ، وعملتم لتحقيقها . وتلك مهمة أحسب لها ألف حساب ، وأشفق منها كل الإشفاق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم .

أيها السادة :

لقد كان فى طليعة الأهداف التى قصد إليها أولو الغيرة على تراث هذه الأمة الحراص على مقوماتها الأصيلة بإنشاء هذا المجمع المبارك الحفاظ على سلامة اللغة العربية ، والنهوض بها حتى تتسع طاقتها لاستيعاب متطلبات الحضارة التى لا تكف عجلتها عن الدوران ، والحاجة المتجددة فى مجالات الفنون والعلوم التى لا يتوقف ركبها عن المسير ، ما دام عقل الإنسان يعمل ويجدّ ويتأمل فى ملكوت السموات والأرض ، وما أودع الله فى مخلوقاته من آثار قدرته القادرة ، وأسرار حكمته البالغة .

وكان الذى دعا إلى التفكير فى إنشاء هذا المجمع وتحديد أهدافه هو الإشفاق على لغة العرب ، بعد أن ترددت دعوات مارقة خبيثة إلى زلزلة كيان العربية العتيد ، وتقويض هيكلها الراسخ ، متذرّعة لدعوتها بتعلات كاذبة ، وأسباب مفتعلة ، تغرى السذج من أبناء العربية بالزهد فى لغتهم والتنكر لها مما لم نسمع بمثله من أصحاب اللغات الأخرى .

ولا شك أنه كان للاستعمار دوره الفعال فى إشعال تلك الفتنة فى أوليات القرن الذى نعيش فيه بتشجيع أولئك المارقين – وهم من صنائعهم وعملائهم – على الجهر بتلك الدعوة الخبيثة . بل لقد كان من المستعمرين أنفسهم من زعم أن علة العلل فى تخلف العرب عن اللحاق بركب الحضارة تكمن فى استمساكهم باللغة العربية التى تعوقهم عن تحصيل العلوم والمعارف لعجزها عن استيعاب تلك المعارف الجديدة ، والتعبير عنها .واغتر بهم مخدوعون ومأجورون ينتسبون إلى هذه الأمة ، ويعيشون بين ظهرانيها . وغايتهم من ذلك تحطيم إرادة الأمة ، وإفقادها الثقة بمقوماتها الأصيلة ، وفى مقدمتها وحدة اللسان الجامع لشملها ، ولغة قرآنها ، وأحكام شريعتها ومستودع آدابها ، لأسباب لا تخفى !

وما يزال أعداء هذه الأمة يتربصون بها الدوائر ، ويزهدونها فى كل مأثور من تراثها ، حتى صارت معاول الهدم والإخراب أقوى من عوامل النهوض والبناء، حتى أثارت تلك الثورة الهدامة شاعرية شاعر النيل حافظ إبراهيم ، ودفعته إلى إنشاء قصيدته المعروفة التى أجراها على لسان اللغة العربية :

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى
ناديت قومى فاحتسبت حياتى

والتى قال فيها :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وماضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر فى أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

وإذا كانت الحاجة إلى مجمع اللغة العربية قد برزت قبل إنشائه بسنين فإن أمتنا العربية تبدو اليوم أشد حاجة إلى هذا المجمع ، وإلى الجهد الصادق الذى يبذله رجاله الصادقون .

لقد حمل الاستعمار عصاه ورحل عن ديار العروبة يجر أذيال الهزيمة عندما صحا العرب من رقدتهم ، وأفاقوا من غفلتهم ، ولكنه خلّف وراءه بعض الأذناب المفسدين وتسلّلت إلى منابرنا الثقافية دعوات غريبة، بل دعوات مريبة ، أخذت تروّج للواقعية، وتدعو إلى العامية . وكأن أصحاب هذه الدعوات لا يعرفون من الواقعية إلا وجهها القبيح الذى يدعو إلى التحلل من القيم والأعراف التى تقوم عليها المجتمعات الإنسانية ، وهى أعراف وقيم تمثل حصيلة التجارب التى خاضتها كل أمة فى مسيرتها الطويلة عبر القرون ، وأخذت تهذبها ، وتنفى خبثها ، وتبقى على الصالح النافع منها ، لتبنى عليه كيانها ، وتجعل منه مقوّما لحياتها ، ودليلا علي وجودها ، وسمة مميّزة من سماتها .

ولكن هذه القيم أخذت تتهاوى قيمة بعد قيمة . وليس يعنينا فى هذا المقام حديث عما أصاب القيم الدينية ، أو القيم الخلقية ، أو القيم الاجتماعية ، ولكننا نكتفى بإشارة سريعة لما أصاب لغتنا وأدبنا، فقد كثر الدعاة إلى العامية بدعوى أنها لغة الجماهير ، وأضبحنا نقرأ ونسمع صيحات التمجيد والإطراء لما يسمى «الأدب الشعبى» ، وكان الأجرى أن يسمى «الأدب العامى» حتى يتحدد المفهوم ، لأنه ليس من شرط الآداب الشعبية كما عرفتها الآداب الإنسانية كلها أن تكون بلغة العوام. وتلك قضية ليس هذا مجال تفصيلها ، ولكنا نقول إن هذا اللون قد حظى بكثير من العناية حتى صارت له أقسام خاصة فى بعض جامعاتنا ، وتخصص فى دراسته عدد من الباحثين حصلوا على أعلى الدرجات الجامعية .

ولا بأس عندنا بدراسة هذا الأدب على أعلى المستويات على أنه تراث أو سجل لأحداث أو تقاليد حياة لبعض الشعوب ليلحق بالمصادر التاريخية لتلك

الشعـوب ، أو يلحق بعلم الاجتـماع لأنه يصور حيـاة هذه المجتمعـات وتطورها عبر العصور . وذلك أولى من دراسته على أنه أدب عربـى ؛ لأنه لا تجتـمع فيـه خواص هذا الأدب الذى هو قـبل كل شىء تعبـير لغوى ممتاز .

وقد يسـمى الشعر الـعامى فى بعض مواطن العـروبة «الشعـر النبطى» ولا بأس عندنا بهذه التسمـية التى تفصله عن الأدب العـربى ، وإن كـان يكبـر عندنا أن يكون منشدوه عـربا يعيشـون فى قلب الجزيرة ، حتى لقد نضطر إلى أن ننشـد مع فيلسوف المعرّة قوله :

أين امـــرؤ القـــيس والعـــذارى
إذ مـــال من تحـــتـه الغـــبـــيطُ
اســـتنـبط العُـــرْب فـى الموامى
بعـــدك واســـتـــعـرب النبـــيطُ

ثم كانت بدعة «الأدب الهادف» الذى يساير الواقعية فى الفكرة كما يساير الواقعية فى العـبـارة . إلى غـيـر ذلـك من العلل والآفات التي أصابت لغة العرب وأدبها فى الصـمـيم ، وهان شـأن الملتـزمين بجـادة الصـواب فـسكتوا على الخارجين عليـها ، وربما جـاروهم فى بـدعـهم مـخـافـة أن يوصموا بالرجعية أو التخلف أو الجمود ، وهى أوصـاف طالما نـبـز بهـا أهل الجـد والحفاظ فى هذا الزمان .

ولا يرجى لكـشف هذه الغـــمـة إلا مجمعكم الموقر ، وعلماؤه العاملون .

* * *

وبعد ، فـإنى أشكر لأخى وصديقى العالم الأديب الأسـتاذ إبراهيم التـرزى ما حيّانى به ، وما خلع علىّ من شمائله التى أرانى عاجزا عن بلوغها .

وإذا كان فى نقاد الأدب من يتردد فى قبـول الغلوّ فى المعانى والأوصـاف ، فإن فيـهم من يذهب إلى تفضـيله على الحدود الوسطى ، ويرى فيه توجـيها إلى الغايات المثلى التى ينبغى أن يسعى إليها الساعون ، ويعمل لمثلها العاملون .

وكـذلك أراد صديقى إبراهيم التـرزى بأدبه المعهود أن يوجهنى نحو المثل الرشيدة التى نتطلع إليها جميعا .

وهو فى الحالتين مشكور مأجور على ما أثنى به ، وما وجّه إليه .

سيداتى ، سادتى :

يذكرنى هذا الموقف المشهود فى رحاب هذا المجمع المكين بأساتذة كبار من رجاله العاملين سبقوا إلى دار البقاء بعد أن أبلوا خير البلاء فى إرساء دعائمه ، وتوطيد أركانه ، وإعلاء بنيانه ، وكلهم من أولى العزم ، وأقطاب العلم . رحمهم الله جميعا ، ولا حرمنا أجرهم .

ويذكرنى بطائفة من فضلائهم المقدّمين أحسنوا الظن بهذا الضعيف ، فقدمونى إليكم وفى طليعتهم من الراحلين أساتذتنا الكبار الدكتور على عبد الواحد وافى ، والدكتور عبد الحليم منتصر ، والدكتور محمد مهدى علام ، أجزل الله مثوبتهم ، وأنزلهم منازل الأبرار فى جنات النعيم .

والله يحفظكم . ويبارك أعمالكم وأعمالكم .

وكلمته عن سلفه الأستاذ عبد العزيز محمد

« وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم »

(الأنعام ١٦٥)

« ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون »

صدق الله العظيم (يونس ١٤)

وهكذا خلق الإنسان ليحيا ما قدرت له الحياة فى دنيا الابتلاء والاختبار التى يتفاوت فيها البشر بمقدار ما كسبوا من الحسنات ، وما اجترحوا من السيئات ، يجيئون ثم يمضون فى أجيال متلاحقة يقفو بعضها بعضا ، ويكون أسلاف وأخلاف ، وسرعان ما يصير الخلف سلفًا . وطوبى لمن اعتبر ، وويل لمن غرّه السّراب ، واتبع هواه فكان من الغاوين .

وقد قضى الله بحكمته البالغة أن أقوم بينكم هذا المقام ، وأشغل فراغا كان يملؤه

سلفى المرحوم الأستاذ عبد العزيز محمد ، وأؤبنه بكلمات أرجو أن توفيه بعض حقه، وإن حقه لعظيم .

وما أشبه موقفى هذا بموقفه يوم استقبله هذا المجمع الموقر وهو يؤبن سلفه الأستاذ الجليل حامد عبد القادر رحمه الله، وموقف الأستاذ حامد عبد القادر وهو يؤبن سلفه عيسى اسكندر المعلوف . حلقات متصلة يقفو بعضها بعضا فى تاريخ هذا المجمع ، وفى ذلك عبرة أى عبرة لمن يريد الاعتبار .

والمرحوم الأستاذ عبد العزيز محمد علم من أعلام هذا المجمع الموقر ، وهو عالم كبير ، وفقيه خطير ، عملاق من جيل العمالقة فى فقه القانون ، وقطب من أقطاب القضاء فى مصر ، وصل فيه بجدّه وذكائه واستقامته وإخلاصه إلى القمة التى بلغها عدد من أعلامه المعروفين فى تاريخ القضاء المصرى فى هذا القرن من أمثال عبد العزيز فهمى ومحمد كامل مرسى وعبد الرزاق السنهورى وغيرهم من الأعلام النابهين .

ولا غرو أن يبلغ هذا المبلغ بعد أن أخلص حياته الطيبة المباركة لخدمة العدالة محاميًا يدافع عن المظلومين ، ويستردّ حقوق المغلوبين ، وقاضيا يفصل بين المتخاصمين ، وأستاذا يفيد طلابه فى جامعتى القاهرة وعين شمس وفى جامعة بغداد من خبرته الواسعة ومعرفته العميقة بالقانون وبأصول التقاضى ، وباحثا محققا، ومؤلفا خبيرا له آثاره المذكورة فى فقه القانون المدنى الذى ألف فيه كتابين يعدان فى مقدمة المراجع التى يعتد بها ، ويعتمد عليها .

وفى الفترة التى قضاها فى العراق أستاذا فى كلية الحقوق بجامعة بغداد كتب شرحًا للقسم العام من قانون العقوبات العراقى وشرحًا آخر للقسم الخاص من ذلك القانون .

ولم يكفه ذلك الجهد المضنى الذى بذله فى المحاماة والقضاء والتدريس الجامعى والتأليف ، بل إنه أسهم فى تعديل كثير من القوانين التى يجرى عليها

القضـاء المصرى ، كـما أسهم فـى تعديل قانون هذا المجمع ، وفى كثير من الأعمال النافـعة التى تتـصل بتـخصـصه وثقـافتـه القانونية المتبحرة .

ذلكم أيهـا السـادة هـو الرجل الذى ودّعه بالأمس مجمعكم الكريم ، بعد هذه الصـفحـة الحافلة بجـلائل الأعمـال التى سجّلها فى كتـاب التاريخ بالعرق والكفاح ولزوم الصراط المستقيم .

ومـا أظن أننى استطعت الوفـاء له بما هو أهل له من الثناء والإطراء ، أو القـيام بما ينبغى لمثله من التأبين أو الرثاء .

وأعتـرف أننى لا أستطيـع أن أضيف جـديداً إلى مـا قرره العـالمون بسـيـرته ، والمتتبّعون لمسيرته من جهابذة القضاة وفقهاء القـانون الذين أجـمـعـوا على إكـبـاره ، وأشادوا بفضائله ، وقيامه بواجبه بإخلاص وكفاية وتجرّد ، وفى صمت الحكماء الذين لا يعرفـون الدعوى ، ولا يراءون الناس ، ولا يسـتجـيبـون إلا لداعى الحق ، ونداء الضمير .

ويصفونه بسعة العلم ، وغزارة المعرفة، والتثبُّت ، والأناة ، وقوة الحجّة ، وسلامة المنطق ، وغيـر ذلك من الفضـائل اللازمة لمن يلون أمـور الناس ، ويعـمـلون على إصابة الحكم ، وإحقاق الحق .

أيها السّادة :

إن البـحث عن المـعـرفـة هو عـمل الصفوة من البشر ، والوصـول إلى الحقيقة هدف من أهم أهـداف الإنسـان العـاقل الرشـيد الذى يتطلـع دائما إلى الكمـال ، ولكنه لا يدّعيه ، وغاية الفيلسوف العاشق للحكمـة التى وصفـها رسـول الله ﷺ بأنهـا ضالة المؤمن يـنشدها فى كل زمـان ومكان .

وكان السـفسطائيون يـقولون إنهم هم الحكماء ، وإنهم معلـمو الحكمة للناس ، حتى كان سـقراط الذى قال متـواضعا إنه ليس حكيما ، وإنما هو محبّ للحكمة !

وكذلكم أيهـا السـادة كـان الأسـتاذ عبد العزيز محمد واحداً من عشاق المعرفة، الباحثين عن الحقـيقة فى ترفع ، وفى بعد

عن الزهو أو الإدلال بما يوفق إليه ، فقد جمّله الله بالتقوى ، وزينه بالفضائل النفسية وفى مقدمتها فضيلة التواضع التى هى حلية المتمكنين من العلماء العاملين ، حتى كان التواضع سمة من سماته البارزة، وكأنه غريزة من غرائزه التى طبع عليها .

وقد أحلّه هذا المحل الرفيع تواضعه وترفّعه ، وحبّه للعلم ، وكلفه بالمعرفة التى عاش طالبًا لها ، وساعيا إليها ، وحريصا عليها منذ نعومة أظافره حتى استوفى أجله المقدور .

ولم يجد الأستاذ عبد العزيز محمد فى تعريفه لنفسه فى الكلمة التى ألقاها على هذا المنبر يوم استقباله فى هذا المجمع خيراً من قوله الذى عبّر فيه عن هذا الشغف بالمعرفة فى عبارته الوجيزة فى لفظها ، العظيمة فى دلالتها :

«ولو أذن لى أن أقدم نفسى لقلت : طالب معرفة ناشئا وشابا وكهلا ، هجر بلده فى الصعيد فى السابعة حيث لم يجد سبيلا لما يبغى ، وأقبل على القاهرة حيث بدأ تعليمه ، وحيث أتم دراسته فى الحقوق ، وظل طالب معرفة حين مارس المحاماة ، وحينما جلس للقضاء . وكان ذلك فى كل عمل تولاه ، وها هو «ذا» يسعى فى كهولته إلى مجمعكم الموقر طالبًا المزيد من المعرفة ، راجيًا أن تكرموا وفادته ، وأنتم لذلك أهل» !

تغمده الله بواسع رحمته ورضوانه ، وجزاه خير ما يجزى به العلماء العاملون .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بدوى طبانة

عضو المجمع

كلمة الدكتور عبد السميع محمد أحمد

فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

السيد الرئيس

السادة الزملاء

سيداتى سادتى :

يطيب لى أن أمثل بينكم الآن ، وإنها لأمنية غالية عزيزة أن أقف هذا الموقف فأخاطب جماعة العلم وأساطين الأدب وأفذاذ المعارف فأشكر لهم كل الشكر اختيارى لأكون بين هؤلاء الأفاضل أغترف مما يغترفون وأسهم كما يسهمون ، وأشكر للأستاذ الجليل الدكتور رئيس المجمع الموقر موافقته على انتخابى ومصادقته على هذا الرأى .

وأشكر للأخ الأستاذ إبراهيم الترزى هذه الكلمات الجميلة التى قدمنى بها لإخوانى السادة ، لقد أضفى علىّ من سجاياه ومن أخلاقه ، ووهبنى ما لا أستحق ، فشكرا له ألف شكر .

وبهذا القدر أذكر للأستاذ الجليل الدكتور محمد توفيق الطويل علمه الغزير وفضله الكبير ، فقد كان فيلسوفا شغف بالفلسفة والأخلاق ، وكتب وألف وحاضر ، وقاد صفوة من أبنائه فى الجامعة بعد أن تخرج فى كلية الآداب بالقاهرة ، فعين معيدا بها وتنقل فى سلك التدريس حتى صار رئيسا لقسم الفلسفة بالكلية ، وعبر مصر إلى الخارج معارا وأستاذا زائرا فى كلياتها وجامعاتها ، وانتهى به المقام فى جامعة الكويت نحو ست سنوات بين سنتى ١٩٧٨ و١٩٨٤ ، وجذبته المؤتمرات والندوات العالمية والمجلس الأعلى للثقافة مقررا للجنة الفلسفة والاجتماع . وشغل المكان الذى كان يشغله الدكتور منصور فهمى ، والدكتور أحمد لطفى السيد والأستاذ مصطفى عبد الرازق ، والدكتور رئيس

المجمع الحالى الدكتور مدكور والدكتور عثمان أمين ، فكان خليفة لأهل الفلسفة الذين قدّموا لهذا الفرع من فروع المعرفة الخير الكثير وأناروا للشادين طريقهم وبسطوا لهم قواعده .

والمجمع فى حاجة إلى شتى التخصصات ، فيضم ، كما يضم الآن ، اللغويين والأدباء والعلميين والقانونيين والفلاسفة والفنيين والتشكيليين ، وغيرهم. وقراراته ملزمة ، وآراؤه واجبة ، وإن كنا نرى الآن عزوفا عن بعض قراراته وآرائه فليس هذا خطأ المجمعيين .

وإذا كان الدكتور الطويل قد ألف فى مبدأ حياته العلمية كتاب « الأحلام فى الفكر الإسلامى » ، وقدمه الأستاذ الجليل مصطفى عبد الرازق ، فإن مؤلفات وأعمال وخبرات الدكتور الطويل سارت فى نفس الدرب ، درب الفلسفة والأخلاق، فأخلص لهذا الفرع من فروع المعرفة . يقول فى ختام كتابه «فلسفة الأخلاق» : إن الإنسان هو الكائن الأخلاقى الوحيد ، لأنه من بين سائر الكائنات هو وحده الذى يمكن أن يضيق بواقعه ، ويتطلع جادا واعيا إلى ما ينبغى أن تكون عليه حياته .. إن الإنسان لا يكون مميزا عن سائر الكائنات بغير مثل أعلى يدين له بالولاء «وولاؤنا للدكتور الطويل يكون بذكره كلما عرضنا لما قصد له ، وتطلبنا من الإنسان أن يتحلى به حيث يكون .

والمجمع يجدد شباب اللغة ، ويحيى ما اندثر فيها أو قبع بين صفوف المؤلفات والمراجع ، أو ما أخفاه الزمن والحاجة إليه ماسة ، أو ما تردده الألسنة الآن ويحتاج إلى التصويب ، أو ما يهتدى إليه العلم من مصطلحات جديدة . ووسائل العلم الموروثة تفيد فى إرجاع هذه المصطلحات إلى قواعد اللغة أو تجد وسائل أخرى لاحتضانها وضمها إلى ثروتها .

واللغة كائن حى ، يتطور وينمو ، ويتسع ، فيضم فيما يضم ، هذه المصطلحات الجديدة ، ويخضعها لأساليب اللغة العربية ، لغة المجمع ، وهو يعلم تماما أن العربية حافظت على قواعدها ونظامها أكثر من ستة عشر قرنا ، وأنها

لغة علم وفن وهى لا تضيق بالمصطلحات الجديدة ، لأن القرآن الكريم قد جاء حافظا لها من اندثار ، أو تخلف ، أو اختفاء كما اختفى غيرها أو غاب عن التداول ، أو توارى إلى جديد بحبها .

وإن النظرة العلمية غير المتحيزة تعترف بما للغة العرب من تفوق ، والمستشرقون أنفسهم يفد كثير منهم إلى العواصم العربية أساتذة زائرين ، أو أعضاء فى المجامع . وليس ببعيد أن نرى فى مصر أمثال ماكس ماير هوف المتجنس بالجنسية المصرية ، أو كارل بروكلمان الباحث العربى أو نللينو أو يرجشتراسر أوليتمان .

حقا بدأ العرب عند ظهور الإسلام بترجمة كتب اليونان فى الطب والكيمياء والفلسفة ، وكذلك فعلوا مع الفرس والهند ، ولكنهم ، وبعد أن انتشر الإسلام واستقر الحكم العربى ، نجد العقل العربى المتفتح يظهر ، ويبتكر ، وتترجم كتبه إلى اللغة اللاتينية لغة العلم إذ ذاك . وتُرجِم فيما تُرجِم إلى اللاتينية كتب اليونان وغيرهم التى حفظها العقل العربى ، وعن طريق العرب حفظت الكنوز والذخائر ونقلت إلى أوربا وانتقل إلى أوربا كتاب الخوارزمى فى الحساب عن طريق إسبانيا ، وقامت فى أوربا مدرسة علمية جديدة تعرف باسم «مدرسة الخوارزميين» .

وقد أعجب ليوناردو ، الذى حضر من بيزا إلى باجة الواقعة على ساحل الجزائر الممتد على البحر الأبيض المتوسط، بشرح أستاذه العربى حين قال له : إن أساتذة المدارس العليا فى بغداد والموصل كانوا يكسرون بين العددين المكتوبِ أحدُهما فوق الآخر عن طريق خط بينهما، وتعلم كذلك حساب الأس (٢=٢×٢=٤) وحساب الجذور مثل ٢ وهى جذر ٨ أو ٤ وهكذا ، وزار دور الكتب فى دمشق والإسكندرية ، كما تناقش مع علماء القصر فى القاهرة وقد ولد ليوناردو حوالى سنة ١١٨٠ فى بيزا [(صـ ٦١) فضل العرب على أوربا - لمؤلفته : سيجريد هونكه - ترجمه إلى العربية د. فؤاد على حسنين] .

وهولاكو المغولـي، الذى خرّب بغداد وأشعل فيها النيـران ، لم يكن مقتنعا بعلم الفلك الذى عنى به الـعرب ، واتخـذ من ناصـر الديـن الطوسى (١٢٠١ - ١٢٧٤) الذى كان فى خـدمة الأميـر الإسمـاعيلى الذى قـتله اتخـذه وزيراً لماليـته ، وشـرح ناصـر الدين لهـولاكـو نظرية المرصـد ، فمنحه بعـد إنشائه مبلغا كـبيرا من المال ، وكـان ناصـر الدين يتـابع سـيـر النجـوم والكواكب فى السماء زهاء ثلاثين عاما من حياته ، وكان فى مـرصد ناصر الدين كرة مشـتملة على خـمسة أطواق مـن النحاس لقراءة مـواقع النجوم ، وأول هذه الأطواق هو دائرة نصف النهـار ، وكان مـثبـتا فى الأرض ، والثانى خط الاستواء ، والثالث سمت الشمس ، والرابع خطوط العرض ، والخامس الاعتدالان .

والأمـثلة كثـيرة على اهتـمام العـرب بالعلوم وعلى تعصب بعض الناظرين إليهم من زوايا مختلفة ولئن تخلفوا بُعض الشىء عن إخوتهم علماء الغرب وأخذ الأخيرون علمهم وتجاربهم ، وتطويرهم لما نقلوه من اليـونان والرومـان والفـرس والهند ، فـعـذرهم أن العلـم لا وطن له ، وأن النهـضة التى ترى الآن فى أوربا وأمـريكا يرجع الفضل فى بقائها وحفظها وتطويرها إلى العرب ، كما يرجع الفضل إليهم فيما ابتكرته عـقولهم ومـلاحظاتهم المسـتمـرة وتجاربهم .

أيها السادة :

لقد كان الدكتـور توفيق الطويل معنيا بالشـئون الإسـلامـيـة ، وبالعرب وكـان يضرب الأمثال بهم ، ويـعود إليهم ، لقد كان خليـقا به أن يحتل مكانه فى مـجمع اللغة العـربية ، وكان خليقـا به أن يحمل مشعل الـثقافة الفلسـفية فيه ، وأن يـصير عضـواً فى لجنة الفلسفة بالمجـمع ويشرف على إعداد القاموس الفلسفى للطبع .

أيها السادة :

لكم جميعا صادق الشكر لتفضلكم لاختيارى عضوا فى هذا المجمع العلمى ، وللأستاذ الدكتور رئيس المجمع أصدق وللأخ الأستاذ إبراهيم الشكر لتفضله بهذه الكلمات أضفاها علىّ .

والسلام عليكم ورحمة ا، الشكر وأعمقه .

كلمة الأستاذ مصطفى حجازى

فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سيدى الرئيس الجليل

سادتى أعضاء المجمع الأجلاء .

أيها الحفل الكريم :

أرى لزاما علىّ أن أتقدم إليكم بجزيل الشكر ، وعظيم التقدير ، لما أولَيْتمُونِى من شرفٍ كبير بانتخابى عضواً فى هذا المجمع العريقِ ، فصَيَّرتمونى زميلاً لكم ، أحملُ معكم أمانةَ الحِفاظِ على هذه اللغةِ الشريفةِ ، وأتحملُ معكم عِبْءَ النهوضِ بها، لتبقَى على الزمن خالدةً خلودَ كتابِها المعْجِزِ، الذى «لا يَأْتيه الباطلُ من بينِ يديهِ ولا مِنْ خَلْفِه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد» ولتواكبَ فى تَطَوُّرِها ركبَ الحضارةِ المعاصرةِ فى مَسيرته المسرعةِ ، ووثَباته المتلاحِقةِ ، ولتجمعَ إلى أصالةِ ماضيها العريقِ حداثةَ حاضرِها مستحدَثٍ فى شَتّى فروعِ العلمِ وأنواعِ المعرفةِ ، وتلك هى رسالةُ مجمعِكم الموقّر.

سادتى : لقد سعدتُ كلَّ السعادة حين هَتَف بىَ الزميلُ الفاضل الأستاذُ إبراهيم الترزى ليزُفَّ إلى نَبَأ فوزِى بثقتِكم الغاليةِ ، التى أعتزُّ بها ، وأرجو أن أكونَ أهلاً لها ، فشرحَ بذلك صدرِى ، وغمرَ بالسعادةِ نفسِى ، ولا غَرْوَ أن كان سرورِى بهذا الفوزِ عظيمًا ، فلقد جاءَ بعد أن استُؤْذِنَ لى عليكم - من قبلُ - مرتين ، قالَتْ كلتاهما وما نالَتْ ، وكانتا عارِضًا من الآمالِ أخلَفَ وَدْقُه ، وسحابًا من المُنَى كذب برقُه ، وعدتُ بعدهما من اليأسِ على مثلِ قابَيْ قوس ، لولا بقيّةٌ من أملٍ عاشت تغتذِى بقولِ محمدِ بن يسيرٍ الرِّياشىّ :

لا تيـأسَنّ وإن طالَت مطالبـةٌ
إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترَى فَرَجَا
أخلِق بذِى الصبرِ أن يحظَى بحاجَتِه
ومُـدْمِنِ القَرْعِ للأبوابِ أن يلِجَـا

ثم كـانت هذه هى المرّةَ الثالثـةَ التى يُستَأذَنُ لى فيها عليكم ، وفاءً بالسنّةِ الشريفةِ فقد قال - عليـه الصلاةُ والسلام - : «إذا اسْـتَـأذنَ أحـدُكم ثلاثـا ، فلم يُؤذَنْ له ، فليرجع» وهأنتُم أولاءِ - أكرمكم الله - قد أذِنتُم لى ، فـالسلامُ عـليكم ورحمـةُ الله وبركاته .

سيدى الرئيس ، سيداتى وسادتى :

إنه لتقليد حسـنٌ ، وسُنّةٌ حميدةٌ تلك التى جَـرى عليهـا مجـمعُكم الموقّـر ؛ إذ جعل من رُسـومِه أن يُقِيمَ مـثلَ هذا الحفل لاستـقبالِ عُضْـوِه الجديد ، وأن يُنِيبَ عنه واحـدًا من أعـضـائِه ، ليُلْـقِىَ كلمـةً فى استقـبالِه ، يقدِّمُه بهـا إليكم ، ويعرِّفُ به لديكم ، ومضت هذه السُّنةُ مـحمودةً منذ قامَ هذا المجمعُ العريقُ إلى اليـوم ، وشيئا فشيئًا صارَ هذا التقديمُ أقربَ إلى التكريم، وأصبـحَ ذلك التعـريفُ أشبَهَ بـالتقيـيم ، وأحسِبُنـى سمعتُ الآن - فيمـا كرَّمَنِى به الزميلُ الفاضلُ الأستاذُ الترزى - من الثناءِ والإطراءِ مـا يملأُ النفس زَهْوًا وعُـجْـبًـا ، حتى ظَنَنْتُه يتحدثُ عن إنسانٍ آخرَ لَيْسَنِى، وتمنَّيتُ أن أكونَه ، وأخـشى أن تكون عينُ الرِّضا قد غلبت الـصديقَ المخلصَ ، حتى أرَتْهُ مِنّى مـا لا أراهُ من نفسِى التى أعـرفُ قَدرَها ،«ومـا هلكَ من عَرَفَ قدر نفـسِه» كـما يقـولُ الرسـولُ الكريم ، ورضىَ الله عن أبى بكر الصديق ، فقـد كان إذا مُدِحَ دعا ربَّهُ فقال : «اللهم اجعلنى عندك خيرًا مما يَظُنُّون ، واغـفر لى ما لا يعـلمون» . وأُشْهِدُكم - أيهـا السادة - أنّنى ما زلتُ - كما كنتُ من قبل - طالبَ علم ، شَرُفْتُ بالعملِ فى مجمعِكم هذا نَيِّفًا وثلاثين سنةً؛ محررًا ، فرئيسَ تحرير ، فمراقبًا ، فمديرًا، فخبيرًا ، وكان هذا المجـمعُ جامِعَتِى الثانيةَ التى تَخَرَّجْتُ فيهـا على مـشيخةٍ عظيمـةٍ مـن أعضـــائه الأجـلاّء ، أذكـر منهم - ولا أحصـيهم ، فـهـم زيـدٌ علـى مـئةٍ - فيـهم : أحمد لطفـى السيد ، والعـقّاد ، وطه حسين ، والزيّـات ، وأمين الخولى ،

وعلى عبد الرازق ، ومحمود تيمور ، ومحمد فريد أبو حديد ، ومحمد عوض محمد، وأحمد بدوى ، ومحمد خلف الله أحمد ، ومحمود شُلتوت ، ومحمد على النجار ، وعبد الرحمن تاج ، ومحمد محيى الدين عبد الحميد .

واستحدثت فى هذا المجمع صِلَةً جديدةً بأساتيذَ لى قُدامى ، تَلْمَذْتُ لهم فى دار العلوم - فى الأربعينيات - أذكر منهم أستاذىَ الجليل رئيسَ المجمع الدكتور إبراهيم مدكور ، - حفظه الله ورعاه - وأذكر من الراحلين الخالدين : إبراهيم مصطفى ، وزكى المهندس ، وعبد الحميد حسن، وحامد عبد القادر ، ومهدى علام ، وعطية الصوالحى ، وعلى النجدى ناصف ، وعلى السباعى ، وعلى الخفيف ، وعلى عبد الواحد وافى ، وعباس حسن ، وعلى الجندى ، وإبراهيم أنيس .

أولئك أشياخِى فمَنْ لى بمثلِهم
وأنّى لهم مِثْلٌ على أبَدِ الدهرِ ؟!

كما أتيح لى - فى هذا المجمعِ - مَدَدٌ من معارفَ شتّى - فى غيرِ مجالِ اللغة والأدبِ - أفَدْتُها من أعضاءٍ كانوا فُقهاءَ فى القانون ، من أمثالِ : عبد الحميد بَدَوِى ، والسنهورى ، وعلى بدوى ، ومحمد مصطفى القُلَلى ، ومن نَوابغ الأطبَاءِ الأعضاء : أحمد عمّار ، ومحمد كامل حسين ، ومحمد أحمد سليمان . .

ومن زملائِهم العلماءِ ، فى الصيدلةِ والكيمياء ، وفى علوم الطبيعةِ والأحياء ، وفى التاريخ والجغرافية . . كنت أستمعُ إلى هؤلاءِ وهؤلاء ، وهم يتحاورون فى لجان المجمع ، وفى مجلسه ، ومؤتمره ، فأفيدُ منهم أكثرَ مما يستفيد طُلاّبُهم فى حَلَقاتِ الدرسِ ، وفى قاعات الجامعةِ ، ثم مَضَوْا جميعًا إلى ربهم ، محمودةً سِيرُهم ، خالدةً آثارُهم ، وكأنّهم من عنى شوقى بقوله :

كانوا أجلَّ من الملوكِ جلالةً
وأعزَّ سلطانًا وأفْخَمَ مظهرَا

أيها السادة الأجلاء : لقد شرفتمونى حين منحتمونى ثقتكُم الغالية ، فصيرتمونى زميلاً لكم ، ثم زِدْتمونى شرفًا حين بوّأتُمونى كرسيًا شَغَله قبلِى صديقٌ عزيز ،

وعالمٌ فاضل ، هو المرحوم الدكتور أحمد السعيد سليمان ، الذى ترجعُ صلتى به إلى سنة ١٩٦٣ حين اختاره المجمعُ خبيراً للمعجمِ الكبير فى اللغات الشرقية ، وكان عملُه معى فى المعجم يقتضينا أن نلتقِىَ - فى المجمع كل أسبوع - مرةً أو مرتين ، وكنتُ كلَّما التقيتُ به آنستُ من علمه وأدبِه ما يُقرِّبُه من نفسِى ، ويحبِّبه إلى قلبِى ، فلم تلبث صلةُ العملِ هذه أن تحوَّلت إلى صداقةٍ حميمة ، ومودَّةٍ كريمة، دامت بيننا تنمو وتزدهرُ على الأيام إلى أن اختارَه الله لجوارِه ، فافتقدتُ برحيله أخًا مخلصًا ، وصديقًا وفيًّا .

وإنى لأذكر له - رحمه الله - أنه كان يتعجَّلُ عودتِى إلى المجمع من عملى فى الكويت ، ولم أكد أعودُ حتى بادرَ إلى ترشيحِى - ومعه أصدقاءُ فضلاء - لعضويَّةِ مجمعِكم الموقر ، ولن أنسى يوم قابلنى غداةَ الانتخاب - بعد ترشيحى للمرةِ الأولى - فتبسَّم ضاحكًا ، وهو يقول : «فرقت دُوه» ودُوه فى الفارسية - كما تعلمون - تعنى اثنين ، يريد صوتين. ثم لقيِنى بعد ذلك بعامٍ - عقب ترشيحى للمرةِ الثانية ، وغداةَ يومِ الانتخاب - فسارحنى متمثِّلا بقولِ أبى النَّجْم :

* والشمسُ قد كادَتْ ولَمَّا تَفْعلِ *

وأردفَ قائلا - صادقًا أو مُجامِلا - : «فى هذه المرة فرقت يك» ويك - فى الفارسية، كما تعلمون - تعنى واحداً ، ثم قال : لا بأس ، ولا يأس، «والتالته تابته» كما يقولُ المثل ، فقلتُ له: إن شاء الله . ثم كانت الثالثة ، فصحَّتْ نبوءتُه ، بعد أن فاتَتْنِى - برحيله - رَمالَتُه:

وقد كنتُ أرجُو أن أُمَلاّه حِقبةً
فحالَ قضاءُ الله دُون رَجائِيا

سادتى الأجلاء : وجريًا على سنة المجمع فى حديث الخالف عن السالف ، أذكر لكم ما رواه لى سَلَفِى - الدكتور أحمد السعيد - من سيرته الذاتية ، فقد حدَّثنى أنه ولد فى مدينة المنصورة سنة ١٩٢٤ وكان أبوه من أهلِ القرآن ، رجلاً صالحًا متعبِّدًا ، يشتغلُ بتجارة الغلال ، وكان معروفًا بالصدق والأمانة ، يرعى الله فى تجارته ، ويتحرَّى الحلال فى كسبه ، فبارك الله له فى مالِه وولدِه وأهلِه ، وقد حَرَصَ هذا الوالد الصالح على أن يأخذ

ولده بحفظِ القرآن الكريم ، وتجويده ، فاستظهرَ منه فى سن مبكرة قدراً غير قليل ، وكان ينسخُ ما يحفظُ من المصحفِ فى اللَّوْحِ أوّلاً - على عادة أهل زماننا - فجاد بذلك خَطُّه ، واستقام بالقراءةِ لسانُه ، وفَصُحَتْ بالحفظِ لُغَتُه ، فكانَ له من كل ذلك ما أورثه ثقةً فى النفس جعلته - على صِغَرِ شخصِهِ بين زملائه - يبدو كبير الشَّخْصِيَّة ، وظلّ متميزاً بين أقرانه فى دراسَتِه الابتدائيةِ والثانَوِيَّة . ثم التحق بكليةِ الآداب فى جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٠ فاختارَ قسم اللغة العربية التى أحبَّها ، وشُغِف بها ، فتخرّج فيها سنة ١٩٤٤ وهو فى العشرين من عمره ، ولعله كان أصغرَ دفعتِه سِنّا ، وعقب تخرجِه عمِلَ مدرسا للغة العربية فى مدرسةٍ للبنات من مدارس التعليم الحر ، ولم يلبث بها إلا قليلا حتى عُيِّنَ فى وِزارة الشئون الاجتماعية فى إدارة الدِّعاية والإرشاد ، ثم فى إدارة الجمعيّاتِ الخيريّة. وكان إلى عمله هذا طالبًا مجتهداً فى معهد اللغات الشرقيةِ الذى حَصَلَ على دِبْلُومه - المعادل للماجستير - فى سنة ١٩٤٧ وكان الأولَ على قسم اللغة التركية ، فرشحته كليةُ الآداب للحصول على درجة الدكتوراه فى الدراسات التركية من السربون ، فسافر إلى باريس سنة ١٩٥٠ واقتضاه الموضوعُ الذى اختاره لدراسته السفرَ إلى تركيا ، فرحل إليها ، وأقام بها عشرين شهراً متنقِّلاً بين مكتباتِ استانبُول وأَنْقِرة وقُونِيَة، يجمع مادة رسالته ، ويجوِّدُ لغته التركية حتى أتقنها ، واطَّلع على كثيرٍ من تراثها، ثم عاد إلى باريس، فسجَّل موضوعَ رسالته لدكتوراه الدولة ، وكانت من قسمين :

الأول - وهو الرسالة الرئيسية ، وعنوانها : «العقائد السِّرِّيَّة للبِكتاشية» وهى إحدى الطرقِ الصوفية التركية ، وأشرف عليها المستشرقان الفرنسيان : ماسِينْيون ، وچان فال .

والقسم الثانى - وهو الرسالة التكميلية ، ترجمة نص تركى عنوانه «دفتر العشّاق» المنسوبُ إلى المتصوفِ التركىِّ المعروفِ بعبدِ الله المغاوِرى ، ذى الشهرة

الشعبية لدى القاهريِّين ، والمدفونِ بهَضْبَة المقطم ، وأشرف عليها الأستاذ «لويس بازان» .

وقد أثنت لجنةُ المناقشة على عمله ثناءً طيبا ، ونَوَّهَت بالجهدِ العظيمِ المبذولِ فى الرسالتين ، تأليفًا وتحقيقًا وترجمةً ، ومنحته دكتوراه الدولة بمرتبةِ الشرفِ الأولى سنة ١٩٥٦ فكان أولَ مصرى نالَ هذه الدرجةَ العلميةَ الرفيعة ، فى الدراساتِ التركية ، كما كان أولَ مصرى يُدَرِّسُ اللغةَ التركيةَ وآدابَها ، وكان أساتذتُها قبلَه من الأتراك .

وعاد الدكتور أحمد السعيد إلى مصر فى أغسطس سنة ١٩٥٦ فعيِّن معيدًا بكلية الآداب ، ثم صار مدرسًا ، فأستاذًا مساعدًا ، فأستاذًا لكرسى اللغاتِ الشرقية، فرئيسًا للقسم ، ثم أستاذًا غير متفرغ بعد بلوغه الستين ، وإلى أن لَقِي ربَّه راضيًا مرضيًا .

ولقد كان فى حياته الجامعيةِ مثالَ الأستاذِ القُدوةِ ، يخلصُ فى عمله ، ويحرصُ على نفعِ طُلاّبِه ، ويرعَى النابغين منهم ، ويحثُّ أبناءَه طُلاَّبَ الدراساتِ العليا على الاستزادة من العلمِ بهذه اللغةِ التركية ذاتِ الصلاتِ الوثيقَةِ بتاريخنا الحديث ، فنَهَضَت على عهده الدراساتُ التركيةُ والفارسيةُ ، وتخرجَ على يديه نحوٌ من ثلاثين دارسًا ، أشرفَ على رسائلهم للماجستير وللدكتوراه ، وكان فى إشرافه نعم المعينُ للطالبِ ، يساعدُه فى اختيارِ الموضوع ، ويرسُمُ معه منهجَ الدراسة ، ويرشدُه إلى المراجع والمصادر فيها ، ويظلُّ يرعاه حتى يقدِّمَه إلى لجنة المناقشة ، معتزًا به ، فَرِحًا بنيلِه درجتَه ، يراه ثمرةً يانعةً لغرسه الطيب ، وما كان أسعدَه حين يتحدثُ عن أبنائه هؤلاء ، فخورًا بما بلغوه من مناصبَ مرموقة ، بين هيئات تدريسِ اللغات الشرقيةِ فى جامعاتِ القاهرة ، وعين شمس ، والأزهر .

وكان للدكتور أحمد السعيد شرفُ تمثيلِ جامعةِ القاهرةِ فى المؤتمر الدولى الثامنِ والعشرين للمستشرقين ، الذى عقد فى كانبرا باستراليا سنة ١٩٧١ وكان الوحيدَ الذى ألْقَى بحثين فى هذا المؤتمر ،

كما دُعِيَ أيضا للمؤتمر الدولى للدّراسات التركية الذى عقد بأنْقرة سنة ١٩٨٥ وألقى فيه بحثًا عن «الصحافة التركية فى عهد محمد عليّ» وشارك أيضا فى مؤتمرِ التراث الشعبى فى الأدب التركى المنعقدِ فى أنقرة سنة ١٩٨٩ وأسهم فيه ببحثه عن «المُخَلَّفاتِ الوثنية فى ملحمة بَطّال غازى».

السادةُ الأعضاء : هذه ملامحُ من شخصيّة الدكتور أحمد السعيد الجامعية ، أجملتها فى إيجاز ، أما شخصيتُه المجمعيّة، فقد كان رحمه الله – كما عهدتموه – دائبَ النشاط ، ماضِيَ العزيمةِ ، وحين اختير خبيرًا للمعجم الكبير فى اللغات الشرقية سنة ١٩٦٣ – أقبل على عمله مخلصًا ، وأبدى من الكفاية لما نُدِبَ له ، ومن المعرفةِ بالعربية وآدابها ما لَفَتَ إليه الأنظار، وجَذَبه إلى دائرةِ الاختِيار ، فانتخب عُضوًا فى سنة ١٩٧٩ وشغَل الكرسيَّ الذى خلا بوفاة المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس ، فكان خيرَ خَلَفٍ لخيرِ سلفٍ ، ومضى راشدًا ، يبذل جهدَه ، وينشدُ الكمالَ فيما يطلب منه ، وراح يُسهمُ فى لجان المجمع المختلفة، فكان عضوًا فى لجان المعجم الكبير ، وفى ألفاظ الحضارة ، وفى لجنة الكيمياءِ والصيدلة ، وفى الأحياءِ والزراعة ، وصار مقررًا للجنة التاريخ والآثار . وتشهدُ له هذه اللجان بسَعَةِ المعرفة ، وصدقِ التعاون، كما يعرفُ له المجلسُ والمؤتمر إسهامَه فى جِدٍّ وإخلاصٍ ، وإيثارَه المجمع بجُلِّ وقتِه وجهده .

ولقد اختاره المجمع ممثلا له فى مؤتمرين :

أحدهما : المؤتمر الذى أقيم فى بودابست احتفالا بمرور مئة سنة على ميلاد عضو المجمع المراسل المستشرق المجرى «عبد الكريم جرمانوس» وحالت دون سفره ظروفٌ ، فبعث إلى المؤتمر ببحثه الذى كتبه بالفرنسية .

والآخر : المؤتمر الذى أقيم فى السربون سنة ١٩٨٩ – احتفالا بمرور مئة عام على ميلاد رئيس مجمعنا السابق الدكتور طه حسين ، وحال دونَ سفره مرض طارىء ، فبعث إلى المؤتمر بحثًا

طريفا فى بابه ، كـتبه بالفرنسـية عن «طه حسين ناثرًا نحويًا» .

أما بحوثُه المجـمعية فمنهـا بحثُه الذى ألقـاه فى مـؤتمر المجمع للـدورة السادسـة والأربعين فى «تأصـيل بعضِ الدخـيل من أسـمـاء الملابس والأطـعـمـة فى كـتـاب الجبرتى» .

وبحثُه الآخـر الذى أسهم به فى مؤتمرِ المجمع للدورة الخامسةِ والخمسين وعنوانه: «ألفاظٌ حَضارية بَطُلَ استعمالها» .

وأما إنتاجه العلمى فقد انتظم مجالات ثلاثة :

(أ) الأول : فى التـصوف والـعقـائد الباطنيـة لبعض الأتراك ، وصدرت له فـيه الدراسات التالية :

١ - العـقـائد السـرية للبكتـاشـيـة (بالفرنسية) .

٢ - دفتـر العشاق : رسـالة للصوفى التركى «عـبد الله المغـاورى» ترجمـها عن التركية .

٣ - المَولَويّة : آدابُهـا ومراسِـمُهـا - مستنبطة من المثنوى - (بالفرنسية) .

٤ - وَحْدَة الوجود ، وبعض الأفكار الباطنية لإسماعيـل حقى البرسوى مترجم عن التركية .

(ب) والمجال الثـانى : فى الدراسات اللغـوية والأدبيـة ، وله فـيـه الدراسـات التالية:

١ - أوزان الشـعـر التـركى وأشكاله (مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة) .

٢ - المخلفـــات الوثنيـــة فى الأدب الشـعبى التـركى (بالفرنسـية) ط القـاهرة وليدن .

٣ - تأصيل ما ورد فى كتاب الجبرتى من الدخيل (ط دار المعارف - القاهرة) .

(جـ) والمجـال الثالث : فى التـاريخ والوثائق ، وقد صدر له فيه :

١ - مخطط لتكوين أرشـيف إقليمى للعالم العربى (حوليات آداب عين شمس).

٢ - تاريخ الترك فى آسيا الوسطى - مترجم عن التركية (ط القاهرة) .

٣ - قيام الدولـة العثمانيـة - مترجم عن التركية - (ط القاهرة) .

٤ - تاريخ الدول الإسلامية ، ومعجم الأسر الحاكمة - فى جزأين - (ط القاهرة) .

٥ - التيارات الدينية والقومية فى تركيا المعاصرة (ط القاهرة) .

٦ - الوثائق التركية التاريخية الخاصة بمشكلة طابا ، ترجمها بتكليف من وزارة الخارجية المصرية .

سيداتى وسادتى :

لا أحب أن أطيل عليكم بسردِ الإنتاج العلمى للمرحوم الدكتور أحمد السعيد ، فهو كثير ، وحافلٌ بكل مبتكر وطريف ، وحسبى أن أضَمِّنَ كلمتِى هذه قائمةً بأسماء الكتبِ التى ألفها ، أو ترجمها ، والبُحوثِ التى نشرها ، والمؤتمراتِ التى حضرها . غير أنه لا يفوتُنى أن أشيرَ إلى أن المجمع - جريًا على عادته فى الترشيح لجائزة الدولة التقديرية - عرف للدكتور أحمد السعيد قدرَه وفضلَه ، ورآه أهلاً لها، فرشحه مجلسُ المجمع - فى سنة ١٩٩٠ - لنيل هذه الجائزة ؛ لتكون تتويجًا لعطاءٍ علمى وثقافى ، استمر قرابةَ نصفِ قرنٍ فى المجمع ، وفى جامعات القاهرة ، وعين شمس ، والأزهر ، وفى جامعة الإمام محمد بن سعود ، وجاء تقديرُ الدولة له بعد رحيلِه ، فمَنَحَت اسمَه جائزةَ الدولةِ التقديرية فى الآداب لسنة ١٩٩١ فكان ذلك تقديراً لعطائِه ، وعزاءً لأهلِه ، وتكريمًا للمجمعِ الذى رشحه لها.

وبعد :

فهذا - أيها السادة - هو سلفى ، المرحوم الدكتور أحمد السعيد سليمان ، وما أظنُّكم حين أحْلَلْتمُونى محلَّه ، قدَّرتُم أننى سوف أسُدُّ مَسدَّه ، أو أُغْنِى غَناءَه فى تخصُّصه «وأين أُمامةُ من هند ؟» ولكننى - فيما يُرْجَى منى - سأمضِى معكم - إن شاء الله - مخلصَ النيّة ، صادقَ العَزِيمة ، باذلاً الجُهدَ كلَّ الجهد ، ما وسِعَت الطاقةُ، وأعانت العافية ، فيما بقى من سِنِى عُمْرِى ، واللهُ من وراءِ القصدِ ، «وما توفيقى إلاّ بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب» والسلام عليكم ورحمة الله .

مصطفى حجازى

عضو المجمع

٩٧٣